# زكي مبارك

## بين رجلي الأدب والفن

دراسة ونقد وتحليل

بقلم

فاضل خلف

مكتبة الفلاح [illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

# زكي مبارك

## بين رجال الأدب والفن

عرض ونقد وتحليل

بقلم

إسماعيل خلف

[illegible]

[illegible]

المطبعة النموذجية

[illegible]





# تقديم

بقلم الأستاذ أحمد أبو بكر إبراهيم
مفتش اللغة العربية بمدارس الكويت





مضى مع هذا الكتاب فترة من الزمن ، قبل أن يأخذ طريقه إلى المطبعة ، وقبل أن تتناوله الأعين وتتقلبه الأيدي ، وقد كنت عرفت نفسي — فيما أقرأ من كتب الأدب خاصة — أن أخلو بها وبين الطبيعة أولا ، فأن أستطيب لها وأطرب بما فيها من صور الفن وألوان الجمال ؛ — فأمعنت النظر فيها مرة أخرى مستمرا بها ومعها ، لأستمتع بمناهجها ، وأستبين ما أضافته إلى تراثنا الأدبي من آراء ونظرات ! . . .

ولست أدري أيعجب قراء هذا الكتاب بما عرضت به عند قراءتي الأولى ، أم لا يعجبون ؟ . . . لقد خيل إلي — وأنا أتلوه بإحساسي — أني أعيش مع الدكتور زكي مبارك ، وكأنه الفارس ، يملأ حياته بالفروسية والمراس ، والخيار والإقدام والتحدي ، حتى إذا ما كشفته الأسباب ، وأمس من نفسه القدرة القاهرة له أخذ يطرف له كل ميدان متحديا مناضلا ، غير عابئ بما يلقاه ومن يلقاه من المناصبين والمناوئين ، ومن يميل بل كيما أن لا يلم له منهم بالمراسلة على ما يحبه حتى تذهب الحق غير الحال ، وأديب بعد الشرف ، ويجلد القلب ، فإذا بالسلاح الذي طالما أشرع به الأقران في يد تراثي ، وإذا الفاضلون من حوله يدركهم من أمجاده الركب والإشفاق ، وحنا الناس ما يحس به الأبطال في أيام الكبرياء والسيطرة ! . . .

لقد تراءت إلى إحساسي هذه الصورة الخيالية وهي صورة مسيرة يحيا أهلها — من سيرة أديبنا ، الدكتور زكي مبارك ، ومعنى ذلك أن ، الأستاذ كامل قد أفرغ على المادة في تصويره لمأساة الدكتور ، واستطاع بهذا التصوير أن

يستهوي عاطفة القارئ ، ويلتمس شعوره .

ومن العجب ما أذكره في هذا الصدد أن صورة المؤلف — كما أعرفه — كانت تتراءى لعيني ، بجانب صورة الدكتور في بعض المواقف ، ثم لا تلبث الصورتان أن تلتقيا ، وإذا هما شيء واحد ! . . . ألا كان ذلك عندما تحدث عن صبره في مطالعة الدرس ، وجلده في التحصيل . ولا أحسبني مبالغا إذا قلت إن هذه الصفات واضحة في مسالك المؤلف ، ويدركها أولئك الذين عرفوه عن قرب ، وخبروا جهده وتطلعه ، وصبره على الاطلاع والتحصيل ! . . .

ويربا المؤلف في كتاباته الماضية والحاضرة — زكي مبارك — في هذا من مختلف الأساليب ، من كمال العاطفة ، واستطرادا خاطفا من خصائص الفن الكتابة النثرية . . . وهذا أمر طبيعي ، فلولاهما لتعذر أن يرسم عبارة التكلف ، وتطغى عاطفته على منطقه ، وقد يفسر لنا هذا الرأي — في بعض النواحي — السر الذي دفع المؤلف إلى اختيار « زكي مبارك » موضوعا لكتابه الأدبي الجديد .

وأخيرا بعد ذلك « الدكتور القاري » الكريم أصدق الفرحة الأولى في نفسي ، طرايا الشكر والتقدير والإعجاب ، ومن قراءته خرجت منها بحقائق كثيرة . . .

فالكتاب دراسة وافية لحياة الدكتور ، من لدن نشأته في « سنتريس » حتى وفاته ، وقد عالج المؤلف هذه الحياة بأسلوب شائق ، يكشف عن الوسائل التي تدرج بها الدكتور للوصول إلى المجد والشهرة . . . وسيجد « القارئ » في ثناياها الأبواب أنها وسائل تكاد تكون متماثلة سبيله العجيب .

ومن الحق أن تذكر وصية الكتاب أشدها خصيبا ، وأوسعها إلى التحقيق

النهايات : في جهاد وتحصيل ، ومناظرة ونقد لاذع ، وإنتاج قيم .

كما يلمس الدكتور بعد حين من الوصول إلى المكانة التي تليق بها نفسه أثيم الزمن بالخفتة والإهمال ، ولم يجن على كتبه ، وبعد وجوه الفضل في عمله ، وقد كان هذا الزلل الأكبر في كثير مما قال ، وكان الأسلوب الذي اتبعه أقبح الفرص لحساده ومناقشيه فهاجموه بالحق وبالباطل .

أما الوسيلة الثالثة ، فقد لجأ إليها الدكتور أن يحاسب الأيام راضيا بما أفسده له جهاده من كتب قيمة خلدت ذكره ، ولكن لم ينسه الزمن بالمرارة التي أرادها في الحياة ، إلا بإخلاصه للأدب ، وتفانيه في التأليف .

يبسط الكتاب هذا كله مستندا إلى تاريخ الحياة ، وترجمة الإنتاج في كل طور من أطوارها ، بصورة تحمل السؤال التالي وإجابته على لسان كل قارئ : هل كان مقدرا لـ الدكتور زكي مبارك ، أن يجني من الحياة أكثر مما نال أو ما يستحق الحسد ؟ . . .

الحق أن نهاية ، زكي مبارك ، لا تتناسب إطلاقا مع تأليفه الفذ الفني في مطالع الحياة ، والحق الذي لا شك فيه أن حظه العاثر كان سببا في تعقبه من أقرانه ، ومن ثم موته ، في الوصول إلى المناصب ، واجتلاء المراتب .

لم تكن غاية المؤلف من هذا الكتاب الإسراف في نقده ، والتهويل القول في المناحي الأدبية لـ الدكتور زكي مبارك . . . — وإنما أراد تسجيل الحياة ، والإشارة إلى المؤلفات على أنها صورة الجهاد ، وخلاصة الحياة ، ولكنه مع هذا لم يغفل التحليل الهادف ، والتعقيب الضروري ؟ — جاء الكتاب — على

ما أعتقد — ولعلها الظاهرة الجديرة بالاهتمام التي استهدفها المؤلف في تأليفه ! ...

وبعد فقد عرضت للأدب السكندري ، والإسكندرية أحق حقيقة من قبل بكاتب خاصة ، وبحوث مستقلة ، وما أشارت إليه في هذا الكتاب موطنا في الأدب — وهذه الأعمال الملاحظة إنما تدل على أنها تدل على جهد مشكور ، وسماحة أمل ، وإخلاص الأديب الذي صاحب في نفسه الأصالة والطبع ، وأنا حين أقدم كتابه الجديد ، فإن نهاية القراء قد لا أجده سطرا ، بل أحسبه مشاركة محمودة في مستحدثات الأدب العربي ، وأتمنى أن يجد من نفوس القراء ما يستأهله من المكانة ، والله الموفق !! ...

أحمد أبو بكر إبراهيم

# الإهداء

إلى روح «الدكتور زكي مبارك»

ذكرتك في غمرة الحادثات … وبين الحديث يثير الشجن
كذكرى حياتك المجهودة … يمزق بها الحر عند الحزن
فيحملك كم سار في الخافقين … وحديثك بين الورى بعد زمن
وما جاءك إلا لأنك عبقرية … تحارب أهل الخنى والفتن
وكل أبي يعاني العذاب … وليس له في خلاصه سكن
لقد عشت حرا صريح اليراع … فعذبك أهلك عبر الزمن
وجابهت بالنقد بعض الأنام … فسددوا عليك سهام الضغن
ولو سمعه سرك لم تنحني … لقيت صنوف الأذى والمحن
فيحسبنا كتابك أن تكتب … حياتك فيه وأسمى الفتن
إلى روح هذا الحر أسعد الكتاب … وإني لأحياك المؤتمن

كامل خلف

# هذا الكتاب

كنت قد نشرت مقالات عن «زكي مبارك» بعد وفاته في أوائل سنة ١٩٥٣ م، فاعترض علي أحد الأصدقاء وطالبني بإيقاف تلك المقالات، زاعماً أن «زكي مبارك» أديب من الدرجة الثانية وسيكتب عنه من هم أكثر مني اتصالاً به وأكثر مني معرفة بشخصيته، ومذاهبه في الأدب والنقد. فاستمعت إلى نصيحة ذلك الصديق وأوقفت تلك المقالات، وما كان في نيتي أن أواصل الحديث.

ومرت الأيام دون أن يصدر كتاب عن هذا الأديب المظلوم الذي لم يقصد أحد ممن هم على اتصال وثيق به وآثاره الأدبية، وأردت أن أقوم بهذا العمل، ولكن حوادث الأيام كانت قد صرفتني وجعلت الكتابة في هذا الموضوع أمراً غير يسير.

وفي العام الماضي صدر كتابي «في الأدب والحياة»، وفيه الفصول الخمسة التي كتبتها عن «زكي مبارك» وما كان في حسباني أنها ستلقى في الأوساط الأدبية كل ذلك الصدى الذي لقيته، ووصلتني رسائل التشجيع من جميع البلاد العربية لا سيما من مصر والعراق وكان من بينها رسالة من الأستاذ الكبير «زكي طليمات»، فوجدت نفسي بعد ذلك مضطراً إلى الكتابة عن «زكي مبارك» مرة أخرى لأحقق عن الأديب الذي

فكرت في الكتابة إلى أن هجرت الموضوع وعاودني حنيني الأول فكتبت هذه الفصول التي أصبحت الآن بين أيدي إخواني القراء الكرام ، بمناسبة مرور خمس سنوات على وفاة زكي مبارك .

واعترف أن هذا الكتاب الصغير لم يحط بجميع نواحي هذا الأديب المسرح الثائر وأرجو أن تكون هذه المحاولة عن زكي مبارك ، مقدمة لكتب يتصدى لكتابتها أدباء الشباب

لقد جاء في هذا الكتاب ذكر لبعض كتب زكي مبارك ، كالنثر الفني والتصوف الإسلامي والأخلاق عند الغزالي وعبقرية الشريف الرضي ولكني لم أتعمق ، أو أحلل ما جاء فيها ؛ لأن ذلك يحتاج إلى صفحات طويلة توازي صفحات هذا الكتاب

وربما بسطت القول في الحياة التي وصل إليها تفكير زكي مبارك الكاتب نفسه ـ وحياته في السنوات العشر الأخيرة تحتاج إلى كتاب مستقل ، لما فيها من غرائب وأسرار ، ولا يستطيع الإحاطة بها والسير خلالها إلا أديب متفرغ

وبعد فقد قال د. زكي مبارك في إحدى مقالاته :

« وأخشى ألا أظفر بكلمة تأبين يوم يشيعني الناس إلى قبري ، فذاكرة بني آدم ضعيفة جداً ، وهم لا يذكرون إلا من يؤذيهم ، أما الذي يخدمهم ويشقى في سبيلهم ، فلا يذكره أحد منهم بالخير إلا وفي كلامه مرة كيد إلى

أنه يصدق بكلمة المعروف».

فليكن — إذن — هذا الكتاب كالقربان للأديب الذي عاش على ألا يظفر بكلمة رثاء يوم رحيله فلبس إلى ربه [illegible] ولكن هذا الكتاب أيضا ذكرى خالصة للأديب الصادق الكادح، الذي شق طريقه في الصخر والشوك، من الريف إلى صف الطليعة من كتاب العرب. ولكن هذا الكتاب كذلك تحية لمثال أدب المرحوم الدكتور زكي مبارك».

القاهرة      يناير [illegible] م                                    المؤلف

[illegible]

في هذه القرية من الريف المصري ولد ... في ... ١٨٩٢م (١) وعاش خلاصة من البؤس والفرح وهو يشعر بأنه ... ومرح مرارًا ... آثار البؤس والفرح منطبعة على يديه. ومن الريف تعلم الجد والعمل للخواص، ومن الريف اكتسب الصراحة والقوة وطيبة القلب، ومن الريف نشأ قوي الجسم، سليم العقل، مرهف الإحساس ربيع ... حياة حزينة كان يرى أمه في الأعياد يخرجون للمقابر ... الأموات ... يحصدون ... في العيد ... كان ... الكعك، بل كان ... لأن أسرته الكبيرة ... والأسرة ... بها الصبي ... ذلك ... في كل عيد ... وبعد الحزن ... ... ... في ... ...

وظهر ... من ... في ... ...

[illegible]

[illegible] صورة الفرح والانشراح [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] بالشعر منذ الطفولة [illegible]
[illegible]
[illegible] بالشعر [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

فانتقد من [illegible] ، وهو بين الموت والحياة [illegible] [illegible] [illegible]
بعد أن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ذلك أنه رأى [illegible]
[illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible]
حين كان [illegible] [illegible] [illegible] ، حتى [illegible] [illegible] الذين
[illegible] [illegible] [illegible] ..

ومن [illegible] التي [illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] ، [illegible] ومن [illegible] [illegible] من السؤال ،
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] .

وكان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ثم [illegible] [illegible] [illegible]
ومن [illegible] [illegible] [illegible] إلى [illegible] وهو [illegible] [illegible] من [illegible]
[illegible] وكان [illegible] [illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] ، وربما
كان [illegible] [illegible] [illegible] أن لا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من
[illegible] [illegible] .

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، وكان [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] .

وكان [illegible] أهل [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
في ذلك أنه [illegible] [illegible] من أهال [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] فيه [illegible] أنه [illegible] من [illegible] [illegible] وكان

جيد الخالج الظهم ، فسأله القاضي عن نسبه فأجاب القاضي [illegible] فعجب عليه بسماحة القاضي أن يخرج إنسانا من أبناء الجامعة المصرية إلى المدح لنفسه [illegible] كون [illegible] مباركة [illegible] الجميع .

وله وصف [illegible] مبارك ، [illegible] [illegible] الحسن وظلمه ، هذا ما لي ،

وفي ضواحي [illegible] ، حيث [illegible] ليالي القمر ، وعلى شاطئ النيل — هناك حيث النجم والقمر ، والماء والزهر ، في تلك البقعة الفاتنة المعزولة حيث [illegible] ، والطيور الساهرة ، وعلى تلك الشجرة الملتفة الأغصان ، الغابة المصورة — هناك حيث أستطرف الجلوس مع أولئك الأخلاء [illegible] البلاد أولئك الذين [illegible] لتوسيع أوطان القاهرة ولا يمرح [illegible] ، فيجد له [illegible] ، وكأنما [illegible] في [illegible] ، [illegible] إذا جن الليل ، فما أحلى [illegible] المقاصير الزاهرة في المقاهي [illegible] ، والأندية الساهرة؟

ومن الأساليب في وصفه [illegible] ، [illegible] ، [illegible] كان [illegible] في أول [illegible] [illegible] [illegible] رأيه ، [illegible] [illegible]

وله قصيدة [illegible] ، ليالي [illegible] ، [illegible]

ليالي [illegible] والذات [illegible] [illegible] [illegible] أحنائي

نور يجمع المصري مسكناً وحده ... في مستريس مرتعش بعض خلاني
إلى حين تجري كعبة ... حتى ظل من عمران أسراني

وهذه لمائة أصحابه في المرقل حالة الوداع ، ثم ، ويقصد ، أكل الشاعر ، عبد الرحمن البنا ، قصيدة الى دنيا

ليجعله كالعيد ، يقصد ، حولنا ... وإن قرصه قربانه «مستريس» ، فالفرح المقارعنا «مستريس» ، لكل يعدوله القتل به حب المستريس ، التي يريد احب حل لساله ، وحل له كثيرا

حي مسجد «مستريس» ، يذكر في كتابه ويذكر ، الشيخ محمد قريب ، شيخ المسجد ، الذي كان يشرح الأحاديث النبوية في عصر أيام رمضان ، فيجتمع حوله أهالي «مستريس» ، ليلهم ونجتهم

كل ذلك مبارك ، ما قصبة قرية ، وكان يشعر أنه فلاح ... على حين يأنف بعض الأدباء — إن كانوا من الريف — من كلمة الفلاح وإذا ذكروا بها تحاشوها ... ما رأيت في كلمة الفلاح كلمة الريف لكل من ينتسب إليها ، والفلاح هو الذي يعمل الأرض الزراعية إلى جانب الجنس العظيم ... أقول هذا لأن أحد كبار الأدباء الذي ... ، الأديب الفلاح ، خاصة التشبيه به ... أما مستريس ... هذا البحث ... يتصل به في هذه الحياة!

# في الأزهر الشريف

كان «زكي مبارك» من أسرة ريفية عاطفة تتطلع إلى العلم والثقافة الإسلامية. وكان «الأزهر» غاية ما يتطلع إليه الطالب المصري عندما يشب عن الطوق ويتلقى قسطا من التعليم الأولي. فذهب إلى «القاهرة» للدراسة في «الأزهر».

وقد كان — كما قال في الفصل السابق — محبا للأدب والشعر، مشغوفا بالمجد. يجب أن يلتهم كتب الثقافة. وما كاد يلتحق بالدراسة في هذا المعهد حتى اتجهت إليه الأنظار، لما يظهره من تفوق في الخطب وأحاديثه الحرة!

والبيئة الأزهرية كانت بيئة محافظة جدا في تلك الفترة، وكانت ولا تزال ينظرون إليه بعين من الغرابة والاستنكار؛ لأن نظم القصائد الغرامية والتغني بها كان مما يخالف طبيعة الأزهريين، بل نظم الشعر بصورة عامة كان عملية شاقة في تلك البيئة الدينية، فلم تكن تستطيعه إلا لمعرفة الإعراب فقط. وغالبا ما يكون شعرا دينيا. وقد جمعتني بشيخ أزهري فاضل معاصر «زكي مبارك»، فروى لي أن طالب العلم في الأزهر في هذه الأيام كان محظورا عليه أن يتجاوز حدود دروسه المقررة،

ولما ثبت أنه خالف هذا النظام نظر إليه نظرة الاحتقار والازدراء .

٩ ـ مخالف لبيئة الأزهر

ورأى الشيخ الأزهري أن الاشتغال بالأدب ما هو إلا عبث من عبث الشباب ، على حين كان يجد نفسه ميالا للأدب والاشتغال به منذ الصبا ، وأسعفته البيئة المحيطة وثروته اللغوية ، استطاع أن يجهر بالاشتغال بالأدب ، ونظم الشعر بكل أنواعه ، لا سيما الغزل والتشبيب أصبح لا يرضى عن هذه الأوضاع التي لا تساير الزمن .

ويقول « زكي مبارك » من مقدمة كتابه الشرح « دوري [illegible] الشعر » للأستاذ السيد أحمد صقر :

« وكنت — وأنا طالب في الأزهر — أحفظ الشعر سرًا ، وأنظمه سرا ، لأن نظم الشعر كان ينال الأزهرية الصحيحة ، وكان الاهتمام به من صفات الغافلين عن حقائق المتون والشروح والحواشي والتقارير . »

وكانت الكتب الأزهرية في عهده مناهج معقدة ، لا تتمشى مع روح العصر ، وكان يتحتم على الطالب أن يستظهر كثيرا من المتون والشروح فضلا عن هذه الشروح وتلك الكتب ، لم يستطع أن يصل إلى جوهر الصحيح ، الذي يجب أن يعرفه حق المعرفة ولم تكن دروس الشعر بالسهولة التي نراها في هذه الأيام بعد أن اهتم رجال التعليم في العصر الحاضر بما يسهل التناول ويقربها لعقول الناشئة حتى كان النهج الصعب المعقد .

الشيخ شعر ادبي العزم من الرجال

في ذلك الوقت الشيخ ... مبارك ، الأزهر ، عرف الجو غير الذي عليه ، ورأى تقسمه ... من القيود التقليدية فيه . وأخذ يتطلع إلى آفاق جديدة غير هذه الآفاق الضيقة ، التي تحد مطامح القاهرة ، وأهل في نفوس الشباب الطموح والقراءة . وكان شديد الغيرة على إصلاح الأزهر ، وتغيير طريقة التدريس فيه ، وأخذ ينشر في الصحف — باسم الفتى الأزهري — مقالات ثورية مصرية ، كانت تصل إلى آذان المسئولين في الأزهر ، فأحدث ضجة في الأوساط الأزهرية ، وكان يقول :

« يريد أن يقضي الشيخ في الأزهر والمعاهد الدينية ، ويريد أن تكون أجزاء ولك صورة هذه المعالم أولاً ، ويريد أن يرسم الحالة الجديدة الإصلاحية ، حتى يطلب ... على أنفسهم ، ويدخلوا في دين الله أفواجا من حيث لا يشعرون

يريد أن تصير المدارس التي يتعلمون في العلوم العربية وأصول الفقه وعلم التوحيد ، ولا يقدرون أن ... — يتخرج من هذه المدارس — ... المتصدرين في العلم والدين »

وقد ألف مع جماعة من ... على الأزهر — الأزهر الذي الذي ... من أشياخ ... لجنة ... لإصلاح الأزهر ، وكان يتصدر الأزهر ... ومن ... والاتحاد ...

للمعاهد الإسلامية القديمة ، التي أقام بها طلاب العلم قرونا في ديار الإسلام

وكان يرجو أن يصل بأعمال هذه اللجنة إلى جعل الأزهر منارة كتلك المنارات التي تشع من جامعات العالم من حيث النظام والنظافة ، وسهولة المناهج مع احتفاظها بالقوة والحيوية

وكان يعز على نفسه أن يرى طلاب الأزهر يحشرون على حصر بالية لا تقيهم رطوبة الأرض ، ويحشرون في حالة غير صحية ، ويدرسون مناهج لا تمت إلى الأزهر بصلة ، مناهج عفى عليها الزمن وحرفتها الأيام ،

يدخل الطالب وهو في شرخ الشباب ولا يخرج إلا وقد وخطه الشيب ، وأصبح وهو في شبه الشيوخ ثم يخرج فلا يجد من يعترف به وبشهادته

وفي مقالاته عن إصلاح الأزهر كان يجهر برأيه ، ما طرق كتابي أيام الرئاسة ، فقد نعت به الأزهر السرمد ،

وكانت الكتب الأزهرية في أيامه لا تمثل العصر ، ولا تضاهي كتب المعاهد الأخرى ، وفي ذلك يقول :

« ولا تذكر المكاتب الأزهرية غيبي فيها كتاب من الأدب الحديث ، وهي مع ذلك لا تمثل سوى المصريين إلى الدرس لأنها في الأغلب تباع في غير مصر »

ومما هو جدير بالذكر بهذه المناسبة أن ، وركن مدرك ، التي سوف

مناهج الأزهر والنظم الأزهرية ، فطالب المسئولين باصلاح الأزهر ، عدل عن رأيه واعتبر نفسه من المخطئين وذلك عندما كان في عطلته في قرية من قرى «النجف» بالعراق قال :

«قرأت في هذه الفترة كثيرا من كتب التشكيك في كتب الأئمة القديمة وهو تشكيك أوساط الروح السائدة في العصر الحديث» ، ويحسن أن نشارك هذه التشكيك في حديثه «النجف» . فقد اتفق أن أسلوب المناهج الأزهرية ومنا هو قليل . ثم علمتني الأيام أن أكون من المخطئين

علمتني الأيام أن طلبة الأزهر سراة كلة «المسلمين» ومن طلبة المدرس وأعني أن يجتمعا بطلبة العلم «بالنجف» . علمتني الأيام أنه لابد لنا من رجال يعرفون العلم وحده فلا يكون لهم مآرب، ولا يكون لهم معين غير الشاء في خدمة العلم .

وهكذا قرأت أقداه «زكي مبارك» ، وهي من أهل الحقبة ؛ لذلك فهو قول جامع بين تغليب وتمحيص ؛ لأنه ورد حانطهده، وفي رأيه كيف ينكر الطلاب صورة المناهج الصحيحة وكيف يحاولون شظف العيش والسياسة التي ينالها طلاب «النجف» وليس معروفًا ... وطلاب «النجف» أقدر من طلاب المدارس النظامية في معرفة أسرار اللغة العربية والفقه الإسلامي ... وقد رأيت كثيرا منهم يتحدثون بالمدارس

الأخرى لإجادة دروسهم، فكي يحضروا على الأثر لقسمه الجيش بعد التخرج كما كان يصنع الأزهريون قديما

وكما كان «زكي مبارك» معنياً بنفسه، فقد طالب بالعلم والطب حتى يمكنه أن يحظى في الخارج بمنحة للعلم

ويرغم ما كان يعانيه في الأزهر من ضيق وصعوبة فقد كان يكب على دروسه، فطالب رسالته لنيل لقب التدريس. وكان يقرأ ويحفظ ما يكتبه أساطين الأدب في ذلك الوقت، ويحب بصورة خاصة ما يكتبه مصطفى لطفي المنفلوطي، و«محمد السباعي»، و«حافظ إبراهيم»؟

«أما المنفلوطي فكان يجذبه إليه طريقته السمحة، وقلمه الفصيح، وقلبه الزاخر بالعطف والحنان. وأما «السباعي» فكان يصاولي على حضرته جيرة باللغة العربية، وبذكائه الحاد الذي يتمثل في إجادة الألفاظ والمعاني.

وفي الأزهر استطاع أن يجعل زملاءه ينظرون إليه بإعجاب ويحترمونه، وكان ينظم الأشعار في مدح أساتذته في الأزهر، ومنهم الشيخ «محمد المهدي» والشيخ «محمد منصور الحلواني».

وأقيمت مسابقة الشيخ «محمد حسين البلدي» في عام ١٩١٥ م وكيل الأزهر والمعاهد الدينية في ذلك الوقت، بجعله أولية لتشجيع طلاب الأزهر على نظم الشعر وإجادة الكتابة، فكان هو من أول

للتحدي إلى ذلك شعرياً ، وألقى عقب صاحبنا شعرية ، فكانت قصيدة
زكي مبارك ، في مقدمة القصائد المعدة للمسابقة

ثم أقيمت مسابقة شعرية كبرى بين الأزهر ومدرسة القضاء
الشرعي ودار العلوم ، فكان زكي مبارك من أوائل فرسان الأزهر
وقد ألقى قصيدة عربية رائعة ثم نشرت بجريدة « المؤيد » ، وهي أول
قصيدة نشرت له ، وكان فرحه بنشرها عظيماً

ومن أساتذته في الأزهر ، الذين يذكرهم بالخير الشيخ سيد
المرصفي ، وقد كان [illegible] الأستاذ بعظيم زكي مبارك ، لاطلاعه
وتضلعه وحبه للأدب قديمه وحديثه ، وقد جمع زكي مبارك من دروس
هذا الأستاذ ثلاثين كراسة ، هي أنفس ما يملكه من ذكريات الأزهر ،
على حد تعبيره ، وكان يحضر دروسه دائماً ، وقد تأخر يوماً فجلس خلف
المصريين ، وعندما [illegible] بالدرس ولم يجد تلميذه زكي مبارك ، قال : أين
زكي ؟ فأجابه أحد الطلاب : [illegible] ، [illegible] له [illegible] .

وقد قال مرة لأحد مشايخ الأزهر : إنه حريص أن يظل مشيخة
الأزهر خالية من تصحيح أسلوب ، [illegible] زكي مبارك ،
لا حاجة [illegible] حسين ..

وقد قال [illegible] الأستاذ المرصفي [illegible] أن [illegible] الأزهر [illegible]
[illegible] وكان [illegible] أصبح [illegible] وكان الشيخ

عليه الرحمة والرضوان في جنته

وقد كتب عنه الدكتور زكي مبارك مقالاً ممتعاً في كتاب البدائع ، بعد وفاته فصل فيها فضل هذا الأستاذ في اللغة العربية والأدب العربي وما قاله في رثائه

( هاأنا الرجل الذي عرفت بصحبته أسرار اللغة العربية ، واستطعت بصحبته أن أرفع رأسي بين أساتذة الأدب وحملة الأقلام ، أيها الرجل ، إنا مدينون لك بكل شيء في حياتنا الشعرية والأدبية ، ولا يحاسبك في قلبي إلا إنسان واحد هو فقيد الأدب والبيان الفسيح ، محمد المهدي ، )

ومن أغرب ما حدث له — وهو طالب علم في الأزهر — هذه الحادثة التي تدل على أن طالب العلم كان يلزم نفسه في الطريق حرصاً على حضور الدرس ، وكان طعاماً لا يعدو ما يطلبه جسم طالب العلم ، ولا يلازم السير في الطرقات إلا ، غير يقظ

( فقد كنت في ذلك العهد أحفظ زادي في الحقيبة ، عشية الكتب وكان زادي في كل يوم رغيفاً جافاً يابساً شحيح الإدام ، واتفق مرة أن غلبني الكرى ، فحملت معه أحــد القراء ، لا أعرف والله فرجعت في عرض الطريق القاسي ، مستطرفاً حين رآني مسرعاً ، تماطرت من أمه عيني الرغيف جاهم الثاني ، ثم الطالب لشكواه التي يريد أن يجيب القرشي ليستحضر درس العربية بعد المغرب )

ويحدثنا الدكتور زكي مبارك ، في ( الأزهر ) ، حيث ستبدأ رأى أن

يضطر إلى دراسته في الأزهر من جديد، لمن يريد أن يدرس الآداب العالية
ولمن عمد إلى تحصيل لقب دكتوراه في البحث مضطراً إلى النظر في ميدان مشترك،
للدكتور، الأزهر الشريف، والحصول بالجامعة المصرية

ومما يشكر من غير شك أن فضل الأزهر على ... كبير، فكان
عظيماً بوجوده في الأزهر حتى يتمكن من اللغة العربية، وحتى يضرب
بسهم وافر في الآداب العربية القديمة الزاهرة، وبفضل الأزهر أخذ
يتحول عقله المتعطش في الشرق على حد تعبيره، وظل رب الأزهر
ورجاله، ولم تكن حملاته القلاعية على مناهج الأزهر وطلابه الأعظم
من حركات الإصلاح التي يرجو منها ... متعطشاً لمجد فكري،
الذي تحمست أمره في جميع البلاد الإسلامية، وظل حتى على الإسلام،
حتى ... من ... ، ومنهج ... الكبار ...
التي ربي لها الجيل من الإسلام.

## في الجامعة المصرية زكي مبارك يصبح أديباً

اتصل زكي مبارك بالجامعة المصرية سنة ١٩١٣ م، فوجد أن الجامعة لا تقبل الطالب الذي لا يحسن لغة أجنبية إلى جانب اللغة العربية فصمم على دراسة اللغة الفرنسية، وأخذ هذه اللغة ... واستطاع أن يتمكن من ... خلال السنوات ... وذلك بإتقانه هذه اللغة إلا أنه ... ورجع إلى الجامعة في سنة ١٩١٦ م انتسب إلى الجامعة، ودخل كلية الآداب فوجد هناك ما كان يتطلع إليه منذ زمن بعيد

ثم ترك نظم الشعر لينصرف إلى العلوم الأدبية والفلسفية، وما كان ينظم الشعر إلا في ثوراته النفسية، كما يقول في رسالة إلى صديق «وأنا مع هذا لا أنظم الشعر إلا إذا ... النفس، ... القلب بحيث لا أستطيع الفرار من شجون الأهوال والأرزاء».

وفي الجامعة المصرية اتصل بالشيخ محمد المهدي، وهو أول من أخذ عنه الأدب في الجامعة وكان خير أساتذته، فكان بعد أن يلقي الشيخ المهدي محاضرته يخرج زكي مبارك ... حتى يصل إلى ... وكان معجباً بهذا الأستاذ كل الإعجاب، وكتب عنه فصلاً طويلاً

في كتاب النثر الفني سجل فيه أدبه واطلاعه وتمكنه من اللغة العربية ودعوته إلى نشر اللغة الفصحى بين طبقات الشعب

وعندما احتفل أصدقاؤه وتلاميذه من الجامعة [illegible] حفل تكريم له سنة ١٩٣٠ م ألقى فيه زكي مبارك قصيدة قال فيها

| | |
|---|---|
| وما كانت الأدب إلا طرائفا | من الشعر أو ما يستمد من النثر |
| أبررها [illegible] | [illegible] |
| [illegible] | [illegible] أزكى من السحر |
| [illegible] مبارك [illegible] | [illegible] |

وفي عام ١٩٣٠ م أخذ زكي مبارك [illegible] يلقي محاضراته في الجامعة عن آثار [illegible] الدكتور أحمد ضيف ، وكانت محاضراته عن شاعر الحب والجمال عمر بن أبي ربيعة ، [illegible] في المحاضرة الأولى [illegible] بعض المستمعين — وعلى رأسهم الشيخ عبد العزيز [illegible] ، [illegible] وأن [illegible] من قصائد [illegible] ، [illegible] وفي المحاضرة الثانية [illegible] وكان الأستاذ عبد العزيز [illegible] ، [illegible] بعض [illegible] زكي مبارك [illegible] الدكتور [illegible]

وعقب [illegible] من محاضرته الثالثة [illegible] جميع المحاضرات

الثلاث في كتاب «عمر بن أبي ربيعة وشعره». وقد طبع هذا الكتاب ثلاث مرات، وقد زاد عليه في الطبعتين الأخيرتين اشياء كثيرة.

تكلم في مقدمة الكتاب عن الأدب المتكلف والأدب المطبوع وذكر أن أدباء العرب الأقدمين تكلموا عن الأدب المتكلف وجاءوا بأخباره وطرائفه، منهم «أبو الفرج» و«الجاحظ» و«ابن قتيبة».

وفي محاضرته الأولى تكلم عن حب «ابن أبي ربيعة» وهل هو حب صادق متين، أم حب يعتمد على نزق الشباب ونزواته؟ ويرى أن حبه كان من النوع الثاني، أي كان يتبع فيه مذهبه، ورأيه في ذلك أن «ابن أبي ربيعة» — أولاً — كان حضرياً وليس بدوياً، وأن الصادقين في الحب هم أهل البادية، لأن الحضري يكثر فيه من الملاح، ولا يستقر على حال واحدة. أما البدوي فيظل قلبه عاكفاً على حب، لا يحيد عنه، ولا يغيّره.

ويقول عن «ابن أبي ربيعة» إنه لم يقصر حبه على امرأة، ولا وقف حبه على قبيلة، وإنما كان يجلس للنساء في مناسبات الحج، ويتعقب الحسن في مسارح الظباء، وبين الرياض الزاهرة، حيث يظفر بزهرة لا كالزهور، ويقصد الآنسة في بيتها حيث يسمع حديثاً عن بعض الآنسات الحور بل ربما قصد إلى تجربة الحب حاراً، أم من تجربته يأنس بالقرب والصدود.

ويرى — ثانياً — أن «ابن أبي ربيعة» كان مسرفاً في عشقه وسياحته

عشرة بنفسه ثورة المحسنين ، وكان يذكر في شعره أن النساء يتهالكن عليه ويطلبن وده ، ويرغبن في وصاله ، وهذه ليست صفة العاشق ، وإنما هي صفة المعشوق !

ويرى — كذلك — أن « ابن أبي ربيعة » كان يزعم أنه وحيد في الحب ، بينما كان يشبب بكل امرأة ، بليلى ، وأسماء ، والرباب ، وهند ، وعثمانة ، وزينب ، والثريا ، وعمرة ، وعائشة ، وهذا التقلب في طلب الجمال متنقل القلب بين هذا وذاك ، وهذا التلون ليس من علامات الحب الصادق الذي يجعل صاحبه فانيا في المحبوب ، متفانيا في الحب ، لا ينتقل قلبه من حب إلى آخر إلا يقصد « عمر بن أبي ربيعة » .

ولى معاصره الكاتب الناقد « أبو الفرج الأصبهاني » مؤلف « كتاب الأغاني » وقوله فيه الطائفي عن « عمر بن أبي ربيعة » فهو يريد أن يعرف كيف كان شعره عنده . والأسلوب الذي جعله يتبوأ بين الشعراء مما أورده للمتقدمين لا يخلو ، ولا يقل قليلا في هذا الباب ، بل كان المتقدمون يعرفون شيئا من الأوصاف التي يجعله الشاعر علامة في عشرته للنساء ، فلما جاء الأوصاف لا تكشف عن نفسية الشاعر ولا تعرف ولما من الشرح ما يصل القارئ بتلك ويرجع به تفاصيل تلك النفس الطائفي ، وقد جاء ابن عبد ربه مرتجلا « أبي الفرج » ثم جاء الأخفش وأبو علي القالي بعد ثم جاء عصر المتوكل والعصبي فقال :

. وقد السبين صبيا في كنفا صاحب الأغاني من الجمال ويظهر أ
يكن الضيف حقيقة ، وإنما قصد إلى ذلك موضوعا حل في نظام ،
مبنية على هو ألبس ، وإن ندركها إلا قليلا ، ولعلنا لم لا نعرف أن ونجد
ويحد تكون ما أدركه ، ونجيب عما يجدي !

ثم راح يقلى «أبا الفرج» اللفتات وأحد ينقص إلا وصالف
في به بما من مكانه «ابن أبي ربيعة» ولقد رأيت «أبا الفرج» يبعد
شيئا فشيئا حتى وصل إلى نهاية القصر ، وإذا بكلام صاحب «الأغاني»
أشبه بالشكل الحال ، لا تبنه في ميزان النقد والتحليل ، وكان يرى
أريد الفرض ، لاطلع القارئ الكريم مني على لبنة البحث ، بيد أني
رأيت أن أرجئها بطول البحث ، ويستطيع القارئ أن يطلع على هذا
الشكل البديع في المحاضرة الثالثة في «كتاب حب ابن أبي ربيعة» .

وبعد أن انتهى من ذلك وسط رأيه في كلام «أبي الفرج» وكشف
النقاب عن الصحيح في هذا الكلام — جاء برأيه الخاص في المحاضرة الثالثة
في «ربيكو» جادة «أن» ابن أبي ربيعة ، قال الله الثلاثة بين الشعراء
الباحثين ... في وصف الحياة ، ما جعل الكلام يتناول على شعره ،
فأما حسب يستخلص شعره ، ولم يستطع أحوالها من حياته حوله ، ووصف
لم تذكر من الشعر سيرة الثلاثة ، فكان من يورد ما لم يذكر ، ونظر
شعره في ملاحظته ، ذلك نقدنا يحسب على أن أقدم مصادر ما قاله الأول .

والإكثار من أخبار الفلاح

والأمر الثاني هو حسن تلطفه في مخاطبة [illegible] ، ووصفه [illegible]
والتواني خصومات القلوب ، وأسى يكل [illegible] من الحبيب [illegible]
تتضح من الأبيات التالية

يفرح القلب إن [illegible] رآك [illegible] إلا [illegible]
ولئن كان [illegible] القرب [illegible] أرجاه [illegible] أراك إلا [illegible]
[illegible] وركنت [illegible] والأ[illegible]
[illegible] الفؤاد [illegible] القلب [illegible] الرصالا
[illegible] أسلفك [illegible] احتيالا

[illegible] من القرب [illegible] في أيام
[illegible] في طلب [illegible] الاستكبار [illegible]

والأمر الثالث الذي جعل شعره [illegible] القلوب [illegible] الألباب
هو [illegible] الرصال ، [illegible] الشعر [illegible] أكثر
[illegible] في الأوساط [illegible] ، حتى [illegible] الناس [illegible] الشعر
[illegible] ومن ذلك قول [illegible] عن [illegible] في [illegible]
[illegible] عليهم [illegible] أبي [illegible]

وقد [illegible] بشعره [illegible] كثر [illegible] وقد قال
[illegible] أبياتا [illegible] أنت [illegible] أبا [illegible]

الكبير لا يحس الشعر [illegible] بمرور مثل هذه [illegible] ، ولا لمن [illegible]
هذه الرغبة .

وقد ظل ابن أبي ربيعة على غزله وتشبيبه ونحوه حتى بلغ الأربعين
من عمره [illegible] ، وأخذ يكفر عما قدمه في أيام الشباب . وأصبح هذا
الشاب الساحر بعد أن تقدمت به الأيام [illegible] ، بعد أن كان يتهافتن
على [illegible] ويتقرب إليه . وقد حكى [illegible] ذلك [illegible] قليلا [illegible]
[illegible] من [illegible]

« وكان الناس يحرون [illegible] عمر بن أبي ربيعة ، الذي كانت تعشقه
النساء وهو يطوف بالبيت [illegible] في الثريا التي كانت [illegible] الأرض
في الرياض والنجوم في السماء ، وحدث [illegible] بن أبي ربيعة ، [illegible]
له [illegible] ( [illegible] ) » [1]

[illegible] إلى [illegible] أخريين الشيخين [illegible] ، وهي
« أخبار [illegible] » ، [illegible]
[illegible]
[illegible] »

وكذلك [illegible] .

[illegible] ابن أبي ربيعة [illegible] شعر [illegible]

(١) [illegible]
[illegible]

الزبيري ، والمواكب الحديث عن حياة « ابن أبي ربيعة » و « الملح والفكاهات »

ولا ننهي هذا الفصل قبل أن نشير إلى أخبار « سكينة بنت الحسين »

وقد جزم المؤلف بصحة أخبارها مع « ابن أبي ربيعة » ، فزعم من أنه قاله في آخر الحديث

ونحن لا نستبعد أنه لا بد أن يكون بعض هذه غير صحيح ، فقد ذكر صاحب « الأغاني » في موطن آخر أن الحبيب قالت « سكينة » ، وروى قالت « ... بها » وأن المراد « سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف » ، وأنه غير « المنشود الجميلة » سكينة » مكان « سعدى » ... الخ »

وقد انتقد الأديب العراقي الأستاذ « توفيق الفكيكي » الدكتور « زكي مبارك » في كتابه « سكينة بنت الحسين » ، وبين حقيقة السيدة في الإسلام ، والأحكام القرآنية والأحاديث النبوية التي تحدثت عن أحوال السيدة عن الاختلاف بالرجال ، وأكثر من القسم في الروايات ، واستنكر أن تكون « سكينة » — وهي التي تربت في بيت النبوة — تخالف روح الإسلام ، وتتجاهل تعاليم جدها رسول الله ، ثم تجري مع الأهواء والشهوات في صحبة أمثال الشعراء والمغنين.

ومن الأدباء الذين استنكروا الرواية « الأغاني » عن « سكينة بنت الحسين » الأديب المصري الأستاذ « محمد رجب البيومي » ، وقد نشر مقالا « بمجلة الأزهر » المصرية ناقش فيه الكتاب المحدثين الذين يعتمدون على رواية

«الأغاني» من هذه القصيدة الجميلة وصاحب «الأغاني» يقص خبر أبي «قالت سكينة» وروى «قالت سعيدة» ، أما أبيات «عمر بن أبي ربيعة» فهي

قالت سعيدة والدموع ذوارف ... منها على الخدين والجلباب
ليت المغيري الذي لم أجزه ... فيما أطال تصيدي وطلابي
كانت ترد لنا المنى أيامنا ... إذ لا نلام على هوى وتصابي
خبرت ما قالت فبت كأنما ... يرمى الحشا بنوافذ النشاب
أسعيد ما ماء الفرات وطيبه ... مني على ظمأ وفقد شراب
بألذ منك وإن نأيت وقلما ... يرعى النساء أمانة الغياب
إن تبذلي لي نائلا أشفي به ... سقم الفؤاد فقد أطلت عذابي
وعصيت فيك أقاربي فتقطعت ... بيني وبينهم عرى الأسباب
فتركتني لا بالوصال ممتعا ... منهم ولا أسعفتني بثواب
فقعدت كالمهريق فضلة مائه ... في حر هاجرة للمع سراب

ولنختم هذا الفصل بكلام الدكتور «طه حسين» في الثناء على هذا الكتاب:

«فرغت من رسالة صغيرة ولكنها قيمة جدا كتبها الدكتور زكي مبارك خريج الجامعة المصرية تناول فيها شعر «عمر بن أبي ربيعة» فدرسه من بعض نواحيه درسا حسنا يسرني أن أثني عليه ، ويسرني أيضا أن أنتهز هذه الفرصة لتسجيل ما للجامعة المصرية من فضل على عقول الشباب».

# في المعتقل

فاندلع لهيب الثورة المباركة سنة ١٩١٩ م وأصبح الشعب المصري ثائراً على الاستعمار والمستعمرين ، وقامت الثورات في جميع أنحاء مصر ، وقامت المظاهرات حافلة بتحرير البلاد من الحكم الأجنبي ، بعد أن طغى الدخيل وتجبر في البلاد ، فقوبلت الثورة بالإرهاب وإطلاق الرصاص على المتظاهرين الأحرار ، واعتقل زعماء الشعب فسرت الثورة الأحرار ، وانطلقت الأقلام من عقالها مشاركة الشعب في حركاته الوطنية .

وكان «زكي مبارك» طالباً في الجامعة المصرية ، فثار مع مواطنيه ، وأخذ يخطب في الثائرين ، ويواصل الهتاف بمصر وثورتها ، مهدداً الاستعمار بالويل والثبور

وكانت أكثر الاجتماعات تعقد في «الأزهر الشريف» معهد النور ، وكان «زكي مبارك» ابن الأزهر ، يوالي نشاطه الوطني في تلك الاجتماعات ، وكانت خطبه الحماسية باللغة الفرنسية تنال كثيراً من الإعجاب والاستحسان من قبل الأحرار

وكان إبان الثورة عضواً في الحزب الوطني ، وأراد الوطنيون إسماع صوتهم إلى حكامهم ، فأرسلوا من يمثلهم للالتحاق بالوفد ، فسافر بعضهم إلى مؤتمر الصلح في «فرساي» ، وبعد تبادل الأحاديث اللطيفة عرض عليه أن الوفد

جمع شكل خطب من خطباء الثورة عند جمعيات مصرية ، وطلب منه ان يتقدم إلى الوفد فأسرع من هذا المؤتمر وتكلم

، كنت أنتظر أن أكون كل من هنا في قسمك أنا أقدم وطني بعقيدة صحيحة ، ولا أبغي درهما في خدمة وطني ، ، فالاحتفال ، والبلاد ذكرى مبارك ، احتفاله ،

وأقيم احتفال في منزل «مصرة سليمان» في ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٩م وقد وقف «زكي مبارك» في الاحتفال ، وألقى قصيدة افتتحها الجمهور ، واستقبلها ضجة من الحاضرين الأحرار فلنقرأ بعض أبياتها

لئن رجعن طرفا عن البلد القاصب ... رأى لها لب أخر من الكفر

لا تستطرن الشعب حطا وقسمة ... على ما جنته يدناه في مصر من نكر

يحسب منزلي ويمسي فالملك ... ويخرج موليد لك منه النشر

ويمسي رجال الجيل أسما فراجعا ... تقابل في بره من الملك والوأد

لقد غلب على الكرم إن كان قادم ... خروج الجحور الطاغيات إلى الجزر

فقد نزل الأمداد حتى يدرجه ... فما يجر لله للشعب في القبر

أبى الله أن تحيى وحسب جيلة ... يمر عليها الدب قسمه بالأمر

فكيف يعلم الحسب حسب معزر ... له بالأمر القرب إن حب من أد

فكم في الجانبة من حب أحس ... تعال من تحيا مع الأعم الزمر

ويعد أن أتت السلطة العسكرية أن «زكي مبارك» يخطب الجماهير

ونفذ الأمر صراحة ... وبجت احتفاله إلى جانب ... من الفساد الآخر

فأتى عليه القبض ونشرت «الأهرام» في يوم الأحد أول يناير ١٩٢ م

الخبر التالي

«اعتقال «الرئيس» صباح أمس الأستاذ «زكي مبارك» ، وهو الشيخ المعروف بجلالة اللسان، والقلم الرشيق، وكان له في كل اجتماع كلمة يلقيها أو قصيدة ينشدها ...»

أصبح زكي مبارك معتقلا، وأخذ يجوب الأرض من معتقل إلى آخر وأمضى السلطات الإنجليزية تضغط على المعتقلين من أرباب الفكر، وتطالب أن تأخذ منهم تعهدا يقضي بعدم الاشتراك في الثورة ... وعلى هذا التعهد يطلق سراحهم ... وقد أرسلوا من يغري «زكي مبارك» بالإفراج عنه بعد أن يوافق على ذلك الشرط، فأبى وصمم على البقاء في المعتقل، ورأى السجن أحب إليه مما يدعونه إليه.

وقد كتب خطابا من السجن إلى أحد أصدقائه يقول له

« ... عند ذكر النوم في مسارحي أرق ... القصر العيني، ولكن ... حين أراهم كيف ... بين الأوراق ... وأقسم ... المصريون ... مصطفى كامل، من ... صانع الإنجليز ... من قيد أمة من ... يكون ... ، وأعيذك من ... أن ... من مصر ...

أحيانـــاً بسببها صداعاً بها وأطلقها ملكات الاحتلال ،

وجدير بالذكر أن «زكي مبارك» كان طالباً في الجامعة المصرية أثناء الاعتقال ، مع أنه كان مرشحاً من قبل شهداء الجسالس ، من ، كلية الآداب ، فصل الطالب المعتقل عن مواصلة الدراسة ، وعلى رغم أن زملاءه سيسبقونه إلى هذه الشهادة

وكانت السلطات العسكرية قد قررت لكل معتقل سبعة عشر قرشاً في اليوم ، فكان ينفق أكثرها في شراء الكتب ، ويقال إنه أكثر الاعتقال ، وفي هذه الطريق القاطع عن انه كان يفضل جوع المعدة على جوع العقل والقلـــب

ولما أفرجت رجال السلطات العسكرية عنه ولم يستطع أحد أن يعيد عليه بالاعتماد عن تحركات الوطنية ، ولما رجعوه وعيناه المعتقل بعد خروج زملائه . أطلقوا سراحـــه

## دكتوراه الأديب وكتابه الأخلاق عند الغزالي

اهتم « زكي مبارك » بعد خروجه من المعتقل بالجامعة مرة أخرى ، وأخذ يكافح الأهوال لإتمام دراسته . وذلك وجب ... في العمر ... قبل أن ينال شهادة « الليسانس » في العلوم الأدبية والفلسفية سنة ١٩٢١ م .

وما كاد يحصل على هذه الشهادة حتى فكر في مواصلة الجهاد العلمي ؛ لينال شهادة « الدكتوراه » . فأخذ يصل الليل بالنهار للوصول إلى غايته ، واستطاع بعد مرور ثلاث سنوات أن يقدم رسالة عن « الأخلاق عند الغزالي » للجامعة المصرية لنيل « الدكتوراه » ، وقد نوقشت بتاريخ ١٥ مايو سنة ١٩٢٤ م ، وكان أعضاء اللجنة الشيخ « عبد الوهاب النجار » والدكتور « أحمد ضيف » ، والأستاذ « [illegible] » .

وقد أثارت مناقشة الرسالة ضجة لأن « زكي مبارك » هاجم « الغزالي » وانتقد آراءه بشدة وعنف ، حتى أن الأستاذ « محمد [illegible] » وكان حاضراً في لجنة الامتحان أخذ يلمسه في مواجهة الطالب ، وانتقد آراءه في « الغزالي » . كما أثار الجمهور على « زكي مبارك » ، والأستاذ « [illegible] » كان يعرف « زكي مبارك » من كتاباته في الصحف والمجلات ، ومقالاته التي يهاجم بها الأحياء بعنف وشدة ، وعندما رأى هجومه على « الغزالي » بهذه الصورة أعلن أن هذا الهجوم يشبه [illegible]

من الأدباء الشعراء والظهور . وقد عاب عليهم زكي مبارك ، بعض آراء الغزالي ، لأنه يرى أن علماء الأزهر تأثروا بوجهة الغزالي والصوفية ، ومنهم بعد الثالث جعل آرائهم لا يتأثر من وراء ذلك إلا بالظهور الشكلي الرجاليه من أولئك العلماء . وهم يتحدون أبواب الثقافة الإسلامية في ذلك الوقت

وقد أثارت مناقشة الأستاذ ، زكي مبارك ، جمهور المستمعين في قاعة الامتحان ، وعلى رأسهم الشيخ ، عبد المجيد اللبان ، وبعض أساتذة الأزهر الشريف ، ولولا حكمة رئيس لجنة الامتحان الدكتور ، منصور فهمي لحدث ما لا تحمد عقباه ، إذ أخذ بعض الحاضرين يهتفون حتى صعدوا ولقد كانت حالة جمهور الأستاذ ، جادة الحول ، في قاعة الامتحان أن يوجه إلى الطالب بعض الأسئلة ، فأعذره لم يحترمه في جدل المعارضين والأخيرين ، وعلى رأسهم الشيخ ، يوسف الدجوي ، والشيخ ، أحمد مكي ،

وبعد ما حدث في قاعة الامتحان من هرج ومرج ، قد منحت لجنة الامتحان درجة الدكتوراه ، بتقدير ، جيد جدا للطالب ، زكي مبارك ، وهو أول طالب ينال هذه الدرجة من الجامعة المصرية

منح ، زكي مبارك ، درجة ، الدكتوراه ، في الآداب والفلسفة ، ولكن ما كاد ، ووصل إلى علمي أن الدكتور ، محمد أحمد سعيد ، عند مشايخ الأزهر الشريف ، وأصبح الفلاح الذي يرى الناس وقراءات دكتوراه

في الأدب ، وأصبح من [illegible] ، ووجهاً زاهراً من العلوم الأدبية والفلسفة ، [illegible] في الثقافة العربية والأجنبية القديمة التي حصل عليه من الأزهر .

وما كاد يظهر في هذا الميدان ، حتى رأى الصحف والمجلات [illegible] وترسل إليه النقد [illegible] على ما جاء في رسالته عن الغزالي ، فضلا عن [illegible] الله كتابه ، أبو حامد الغزالي [illegible] ، [illegible] الذي كان [illegible] النقد يحول إليه في الصحف والمجلات ، [illegible] في الغرب الأدباء ، ولكن أستاذه الدكتور منصور فهمي [illegible] والدكتور [illegible] ، [illegible] في مقدمة كتاب الأخلاق عند الغزالي ، قال :

« [illegible] الغزالي ، [illegible] فيها من الخطأ والصواب . فلما [illegible] الناس منه [illegible] وأيسر أن يذكر الخير [illegible] بالكلام ، وما كان الغزالي [illegible] أكثر من أن [illegible] .

[illegible] الأخلاق عند [illegible] ، [illegible] الخير [illegible] إلى [illegible] .

ومحنهما جوله وسعدوا في القاطع مسند من أساتذتك وزملائك في «الأزهر الشريف» ، فإنكم جميعا طلاب علم وأنصار حق والحرية بينكم ليس بالأمر الهين .

وهذه الرسالة طريفة تنبض بالحكمة ، والعقل الصحيح ، والرأي السديد ، والنصيحة الغالية . وقد رد عليها «زكي مبارك» قائلا :

«أكرر الشكر لسيدي الأستاذ الدكتور «منصور فهمي» ، وأؤكد له أن بيني وبين علماء «الأزهر» عهد الإخلاص على حسب الليالي وإن يخشى أحد أي مدى لا سلطان في «الأزهر» ، وإن خروجي عليهم ضرب من العقوق ، ولكن الحق أحق .

وهكذا استطاع حسب الأستاذ الجليل الدكتور «منصور فهمي» بحكمته ، وبرجاحة عقله أن يقرب وجهات النظر بين «زكي مبارك» والثائرين على آرائه ، وكيف نال منه الطالب البار «زكي مبارك» بسيطة أستاذه ، ومن بها فتجنب شيئا كثيرا من اللوم والنقد .

وهكذا نرى أن الأمور تحل بالحكمة إن أراد الناس أن يحلوا ويرفعوا المشكلة ويصلح الأمور .

ويجب علينا الحكم على أن «زكي مبارك» ، الذي أرقه «الغزالي» ، بنقده وكسره ، وما فاته من خلال نشره بحوزاته «الإسلام والأخلاق» ، مرارا لا ؛ كم النظر بأن حملت على «الغزالي» حملة شديدة ، ووجه

تجهل أسرار الدين ، وحرمت من الآداب التي وضعها له ، التوكل ، حين يخرج من بيته ... مدعوه إلى ألا يحرك في البيت ساكنا تعرض عليه السرقة وإلى ألا يحرك إذا سرق متاعه ، بل يصرح إذا أمكنه ... .

ثم راح يباهي وينكر على هذا الرأي ، قائلا : فغير معها أن الإسلام دين أخلاق ، ولا بأس أن يرى التوكل ، فقال : ذلك مبارك ... ومن قبل ذلك دين خير وصلاح ، وليس من الأخلاق في شيء أن يترك المرء بيته حتى لا يبقى به متاع تعرض عليه السرقة .

ولقد خطب بعض المعاصرين لمستقبل الإسلام بدين الخير والأخلاق ، وراح يقول مقولته الشهيرة قائلا

« الدين الإسلامي دين فتح وعلم أم كرم ، والفتح شروط وآداب حسب الدين الحنيف ، والتاريخ حين كتب ... من كلمة الفتح إذا تجاوز ... الأصحاب الذين يرددون الكلام بوصف الإسلام بالقناعة والرضى بالقليل ، وهذا خطأ صراح ، فإن الدين الإسلامي أحد الأديان التي أوضحها وأنضجها العقول ...

ثم أخذ في مباهاته الفهم الخاطئ للأخلاق قائلا

« أفتنسون أن محمدا عليه السلام ، بعث ليتمم مكارم الأخلاق ، معناه أنه جاء ليتمم علينا ويعيد لنا ... تلك المبادئ السمحة التي دافع عنها « التوكل » وأمثاله ... حين سكتوا عن التوكل والصبر والقول ؟

وتابعهم في ذلك مع للأسف عدد من شباب الجيل في غير تمحيص ولا استبصار؟ »

وانظر المقال جميعه

« من أجل هذا ترى أنكر أن تكون (الأخلاق) في الإسلام منافية للرحمة بالمرحوم ومن قبل رحمتي ومن أجل هذا جرحه الغزالي بعد ما قصره في مؤلفاته بجمع سنين فلماذا تكفرون من بعد هذا البيان؟ »

وله هذه القصيدة التي ينعى فيها الإمام ، وخصها الى قوله :

ماذا الطبيعة وما ترتيبه ... السم أيسر ما ترتيبه

الرمز رحمة بهيئة ... ألقى ذاك بما حجبه

إن العقود نفوسه ... أظلمني حب تهذبه

لا لظله ربه طالبه ... من صدره أتت الترتيبه

كم يحسدون هنا ... في نفسه خبل احتجبه ؟

بالكتاب الله ... من قلب أواب رهيبه

المسلم عرش لم يزل ... شمس الهدى في رتبه

ومن الجدير بالذكر أن الأستاذ « محمد فريد » الذي هاجم « زكي مبارك » ، وأثار تلك الضجة عاد فغير رأيه فيه كما سنرى في الفصل الذي سنتكلم عنه من كتاب « التصوف الإسلامي »

## إلى باريس

لم ينقطع «زكي مبارك» عن الكتابة والتأليف بل واصل جهاده بالجد والإقدام، ولم يكن يطمح إلى نيل الدكتوراه فحسب، بل كان همه أن يصبح إماماً من أئمة اللغة العربية؛ لذلك رأيناه يحضر «الأزهر»، ويلتحق «بالجامعة المصرية» وما نال شهادتها الأولى، واصل جهوده بقوة حتى نال الدكتوراه.

ثم أخذ يكافح في ميادين العلم حتى عين مدرساً مساعداً في الجامعة المصرية في أواخر سنة ١٩٢٥ م، وكان يترجم للمسيو «كازانوفا» المستشرق الفرنسي، والأستاذ في الجامعة المصرية، إلى جانب دروسه التي يشرح فيها كتاب «مغني اللبيب» لطلبة كلية الآداب، ويطلب من الدكتور «طه حسين».

ثم تمضي الأيام، و«زكي مبارك» يتحرق إلى مزيد من العلم ويتطلع إلى «باريس» وإلى «جامعتها السوربون» التي درس فيها أكثر أساتذته، وهذه العبارة — التي كتبها هنا بقلمه — دليل واضح على طموحه وعبقريته المتوقدة في الخارج لم يتوقف

«لما البعثات العلمية ولماذا أنا أتأخر؟ اللهم لا تمتني قبل أن

أرى مصر كيف يحرص الغرب الهالك على أن يبيح أمنها ساحة الأمم وأساخة الشعوب .

وبعد هذه الرحلة أوربا سنة ١٩٢٧ م عاد مصر إلى باريس ليدرج الطالب الفتى رحمه الله منذ أمد بعيد

وأول ما واجه جناه على «السوربون» أستاذه الدكتور : لأنه حينما كان يكتب مقالاته بإمضاء «الفتى الأزهري» في إصلاح «الأزهر» التي أن نقرأ حديثه إليهم «الأزهر» وحديثه في خاله : فكيف يكون منظر الأزهر رائعا حقا ، أسوة بجامعة السوربون في «باريس» وحضور الأعلام على الدراسة حتى لفهم «باريس» ، ورأى «السوربون» فحصل ما رأى ، وقال

«وبعد ، ما الفرق إذن بين جامعة الأزهر وجامعة باريس؟ أما كان يستطيع الفرنسيون الكبار أن يرسوا في خاطر «السوربون» عبرة أو عبرتين ، ليصح فيهم ، واستعمل المقالات التي كتبت في جريدة «الأفكار» وأبعث في الكاتب الساخر؟

وقد استبشر خيرا عندما جعل إلى «باريس» فرأى رسالة باللغة الفرنسية شرحها من كتابه «الأخلاق عند الغزالي» للدكتور «مبارك» وعندما قابل المسيو «ماسينيون» أنشدهم على ما وصل إليه من جهد ، جعل الدكتور «مبارك» يكتب عن تلك الرسالة

الفرنسية . وكان هذا العصر العلمي حافزاً له على مواصلة الجهاد وحفزه

النفس على العمل والكفاح في ميادين العلم

كان يقيم في أول الأمر أربعة أشهر في [illegible] يدرس فيها بعض
من المجلات الأدبية [illegible] ثم يرجع إلى القاهرة ليجمع من القواميس
والصحافة ما يساعده على الاستمرار في دراسته ثم صمم بعد ذلك على البقاء
في باريس ، مكتفياً بما يحصل عليه من كتاباته في الصحف ، ويقول هو
« كنت أقطع العام شطرين ، أقضي شطره الأول في القاهرة
حيث أؤدي عملي ، وأجني رزقي ، وأقضي شطره الثاني في باريس ، ألتقي
الدروس بالمعاهد العليا ، وأصاحب المؤلفين . إلى أن يتحدد مالي ويمكنه
ثم عجزت عن أن أنقطع إلى الدرس في جامعة باريس ، حتى أحصل على
[illegible] . »

وهنا تتجلى عصامية طالب العلم وعصريته بأجلى مظاهرها . فكان
أستاذاً مساعداً في الجامعة [illegible] وظيفته ، ويتطلع إلى الدراسة وكان يحصل
على مرتب يفي بمطالب الأيام [illegible] ، وكان [illegible] في الجامعة
ومن يعلم أنه متقدم على أيام [illegible] ومرتبه [illegible] على [illegible]

انتظم [illegible] في [illegible] بجامعة باريس [illegible]
الازدياد كان عليه أن يصل الليل بالنهار بمواصلة دراسته وإمداد الصحف
بما يكتب ليستطيع الإنفاق على نفسه

وهو يعني . عند الكاتب قائلا

« وكان أصعب تلك المتاعب هو الفرق بين « باريس » عند ألف ليلة وليلة بما سحركانت من أعجب العجب . »

إن هذه العبارة تصور حياة عقل حقيقيا ، فقد كان مفتي الأزهر قد يتحدث من الحماسة ويرى حسن الظن بكل من يقيم أثناء مراسلاته الأوروبية في كتبه ، يتصوره شيئا لا يجد من دونه غير المعرى ورده لذات الشباب ومسراته متعالا ، وفي الحقيقة أنه كان متأثرا بأحداثه الكثيرة وسبق شرح هذه الحقيقة عند الكلام عن مراسلاته في فصل قادم

ومن جوده في « باريس » جعله تصور المجتمع الباريسي تصويرا مستمدا منه من طرب وظلال ، ودواوين والقلة والترف ويتكلم عن المجامع في فرنسا والحياة الأدبية ومراسلتها ، والمباني في باريس ، وعن مميزاته في الموسوعة الجامعة « في باريس » ، وفي كتاب « ذكرياته بباريس » تصوير عن البيئة الفرنسية

ويتكلم عن الشباب الذين يتصورون أن « باريس » للدراسة فقط خطرهم « باريس » يتصورونها للهو وملذاتهم ، وهم يعيشون بأربعة الفصول والقمار وغيرها

فكم من شاب أسلم نفسه وعرضه لامرأة حتى في أول حياته مثل حب « باريس » ، وكم من شاب جاء « باريس » ليتعلم فظل جاهلا ، ثم

عند إيل ،مه عصر آشح وأرياً ما عرف الطب من جراثيم الأمراض .

وهذه المشكلة هي مشكلة جميع البيئات الفاتنة . وقد رأينا كثير من الشباب الذين درسوا في الخارج يرجعون إلى أهليهم ، ... شأن وطباع ثابتة وأخلاق متسقة ، بأنف مما الرحش ، ولذا الغرائبي ... إلى طير للملائكة

ورحوبه في باريس ، جمعه عن إلى مصر ، ولد نظم قصيدة أسمعها إلى صديقه السيد حسن الطاي ، قال فيها

يا جيرة السين ، هيا في مرابعكم | قد إلى النيل ، بذكر غرة الفجر
حنت عليه لياليه وأسمه | إلى الخرائد حسب عند أبرار
أحاله الفجر في آثاره فرشته | وروحها مس وحسب عنبر أخضر
يسعى إلى الجمه وجه عاطلة | بالبائع من عطاياها وحرفو
موال إلى حتى كل جادة | يحل جيا الحر إكليل من الفلر

كان ذلك مبارك ، معترفا وإحسانه آراء أهل الفكر ، إن رأى فيه ما يجمع الهجوم ، وفي باريس حاجم آراء المستشرق الفرنسي ، ومرسيه المدرس في السوربون ، فكانت ثائرة ، وأخذ يرد جهات الفتى المصري الثائر والفكر ، وركز مارك ، ورد عليه بالمثل ، وكانت بينهما خصومة أدبية عهدت صيد المجالس الأدبية في باريس .

وكانت آراؤه بمثار الابتكار والطرافة ، فأحسنه عنه أساتذته في

«السوربون» وفي مناقشته مع الدكتور «طه حسين» تقديراً لمجهوده الكبير

«واتصلى بالمسيو مرسيه» فرحب عليه آراء فرحب، واتصلى بين وبينه الخصومة الآن بيانا شديدا ولكن كان هذا صلبة ومتعصبه لأن الرجل كريه في عبريته، ووقف كرسي «السوربون» ولم ير عليه المعركة بلا ثمنه، فقد راقب المسيو «ما سينيون» يوم أخذ الطالب الدكتوراه، وقال: «إني حبي الآن أعلنه، طه حسين، الرجل، ومنه وما صحا بعث إلينا وهو أن أعلنه «ري ميرك» أعتبر بأني أراه شخصية جديدة ...»

وبعد خمس سنوات من الكفاح المتواصل استطاع أن يسجل نصراً جديداً كان يخطر، ويتطلع إليه منذ أمد بعيد، فنال الدكتوراه برسالة عن ابن خلدون بكتابه القيم «الشرقي في القرن الرابع» الذي قدمه باللغة الفرنسية إلى جامعة باريس ونوقش بتاريخ ٢٥ إبريل سنة ١٩٢١ م أمام الجمهور

## كتابة النثر العصري

ما كاد مرقس سميكة يصدر ذلك القرار الباهر في امتحان طالب كمبردج وامه بالسوربون حتى ظهر أن هناك أزمة فكرية في جمهور القراء في الأقاليم.

وتلك الحلقة الفكرية هي حلقة الثورة السابقة التي تطلب هذا الشعب المصري الفلاح في الدرس أساتذته في الجامعة، وقد أيقن به تلك الحلقة بعد أن رأى رجال العلم في السوربون، أن هذا الشعب يجب أن تعلمها لأنه كان حرا في أفكاره، وأن صاحب رأيه الحر، والتي عليه ويرى القراء دون رأيه يصاحبه إلى تمحيص حاجته بلوغا، وأظهر الناس تراجع الشعب فيه. وقد رأيته في فصل سابق كيف حكم، حملة الإسلام الطوال، ورأيناه في الفصل السابق كيف هاجم أحد أساتذته في السوربون وهو المسيو، فيما بعد، حتى أصبحت بينهما خصومة أدبية تحدثت بها مجالس الأدب في باريس،

وهذه حرية في الفكر هي التي تجعل الأديب باحثا حرا يطلع على الجامعة أحدث الآراء والأفكار يعرضها لزملائه ويصدرون عنه بنتيجة رأيه وقد كان، وكل ميدانه، ميدان من القراء لأنه كان له في كل يوم فكرة جديدة يسر القراء ويعجبون بها منه وبقلمه

وأقامت له الجمعية المصرية في «باريس» في مساء ذلك اليوم حفلة
تكريم فأبدت أسرة «المقطم» التي أقامت ساعتئذ في «السوربون».

وحينما ظهر الكتاب في طبعته العربية أقيمت له حفلة تكريمية
بالقاهرة، خطب فيها كثير من رجال الأدب في مصر، ويعرب في ذلك
«إن الذين اشتركوا في تكريمي ليعبرون عن إقبال رجل كان يقلقه ما
ترهقه في رحلته من شعور وحنين، فكان صنيعهم صنيع الطبيب الرفيق
حين يأسو الجريح!

وما رأيت ولا رأى الناس أصدق من تلك الليلة التي اجتمع فيها صفوة
رجال الأدب لتكريم مؤلف «الأثر الفني»، وكان في ذلك درس كنت
محتاجا إليه أشد الاحتياج. كنت أحب أن أجد من يقنعني أن أمي ربت
أبناءها تربية كريمة. أحب أن أطمئن إلى أن الإخلاص لم تزعزعه أو تزل
الجبال. كنت أحب أن أؤمن إيمانا صادقا بأن الله لا يضيع أجر من
أحسن عملا. وأخيرا كنت أشتهي أن أعرف أن الكاتب يجب أن ينتقل
ويحيا في مكان آخر

إن مؤلف «الأثر الفني» خرج من حفلات التكريم بدرس بليغ هو
أنه لم يجد من الحفلات الأدبية [illegible]، لقد كنت سيئ الظن بالناس وكنت
أخشى أن ينهب كتاب «الأثر الفني» وكنت أتوهم أسفا أني أوزع القارئ
وأجد من يقرأه بلا رحمة ولا إشفاق وكانت بين يدي في ختام كتابي

أن أصحاب العلم والمدنية ، والحدود كما بدأت بين الناس وظهرت ، وفي صحبة
البقرة والجمل ، والتي لحنين الساقية ، ووصف الريح بين النخيل والأعناب
الله العلي ، زكي مبارك ، بكتابه « النثر الفني » وكان فخوراً به وحسدني
به الأدباء المعاصرون ، وقال :

« إن أعظم منصب في الجامعة لا يغني عن المنصب ما أعطى كتاب
« النثر الفني » وحقق أحجار الجامعة المصرية وليدها أكرمها ، ثم بقي
ذلك الكتاب على الزمان . »

قال هذا يوم أن أخرج من الجامعة ، كما سطرنا في الفصل المتقدم .

كتاب « النثر الفني » في الرابع كتاب علمي ضخم ، فضل المؤلف
به صنع سوانه ، وهو يقع في جزءين كبيرين ، ويبلغ صفحاته سبعمائة
وخمسين صفحة من القطع الكبير ، ولقد طبعته دار الكتب المصرية ،
والكتاب يشرح بأسهاب مذاهب النثر الفني في القرن الرابع الهجري ،
وقد أثبت المؤلف أن العرب قبل الإسلام عرفوا النثر الفني ، وقال إن
« القرآن الكريم » جاء على غاية التأثير في البلاغة والبيان ، ونزل بلغة
العرب ويعرف الله عز وجل ، وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين
لهم ، ومعنى هذا أن العرب كان عندهم نثر فني ، وتقدموا في النثر حتى جعلهم
يفهمون القرآن الذي نزل عليهم ، ولو كانوا عاجزين عن النثر الفني لما فهموا
القرآن بهذه السرعة وأمنوا به

وقد هاجم المؤلف جماعة المستشرقين الذين ينكرون الشعر الجاهلي ، ونقد آراء « مسيو مرجليوث » الذي يعتمد الاعتماد وهاجم كذلك الدكتور طه حسين ، الذي تبنى أفكار « المسيو » مرجليوث » ونشرها باللغة العربية وبذلك أثبت أن الشعر الذي كان موجوداً في بلاد العرب قبل الإسلام ، وليس كما يزعم المستشرقون أن العرب عرفوا الشعر عندما اتصلوا بـ « الفرس » و « اليونان » .

ثم تكلم عن الأدب الجاهلي بصورة عامة ، ويرى أن هذا الأدب كان مزدهراً بجانب الشعر وفي مجال الأدب ولكنه ضاع أكثره حتى وصل إلينا وهو لا يزيد عن كراس صغير وبذلك أخذ يفند مزاعم المستشرقين ومن لف لفهم

# في الجامعة والتفتيش

لم ينقطع « زكي مبارك » عن التأليف والاشتغال بالصحافة ، وكان لكتابه « النثر الفني » أثر كبير في الأوساط الثقافية ، لأنه ناقش المستشرقين في مسائل كانت مقررة عند طلاب الجامعة الأدبية .

ولما كان الباحثون العرب قبله ، يقررون آراء المستشرقين ، فيقرونهم عليها ويتابعونهم في أفكارهم ، ويسلمون لهم بصحة الرأي ، حتى جاء زكي مبارك وجاهر برأيه في قوة وصراحة .

والتحق مرة ثانية مدرسا بالجامعة المصرية ، وهو في الجامعة ، صاحب الأساتذة الجامعية النابهة ، ولكن بقاءه في الجامعة لم يدم طويلا ، لجرأته على الأوضاع ، وهجومه على الأدباء المعاصرين ، وإنكاره على آرائهم ، وكشفه كثيرا من أسرار الفتح الذي حرص المستشركون على إخفائها ، كل هذه الأشياء جعلته لا ينسجم مع المسئولين في الجامعة .

وقد كانت بينه وبين الدكتور « طه حسين » خصومة أدبية يراها القارئ مبسوطة في كتاب « النثر الفني » ، ولكنها أصبحت حادة عندما التحق « زكي مبارك » مدرسا في الجامعة فأخذ الدكتور « طه حسين » منه موقفا وكان بعد ذلك خروجه من الجامعة — يعين مفتشا للتعليم في الصحف تقريبا من

للمتولين الذين عينوه في هذا المنصب الجامعي . فكتب «زكي مبارك» ورحلة مع ابن عمه ، وبالرغم من الإرتياب الشخصي الذي جاء به فهو زاخر بالكثير من الحقائق التي يجب أن يطلع عليها القارئ العربي ليعرف حقيقة «زكي مبارك» . الرجل الذي أخذ الصراحة شعاراً ، وابتعد عن النفاق لأنه من صفات الضعفاء ، ولم يجامل صاحب السلطة والسلطان ، فحورب في رزقه وكان من أمره ما كان ، وهذا المقال منشور في الجزء الثاني من كتاب «البدائع» ص ١٦٩

ولما رجع الدكتور طه حسين إلى الجامعة أعلن عن فصل «زكي مبارك» وقد دافع الأستاذ «سلامة موسى» عنه ، واستنكر هذا الفصل ، وكتب مقاله في ذلك الوقت :

« يجب بالحق أن نفصل من جانبنا عن هذا الإحساس بمحاربته في معيشته ورزقه ، وليس الشك في أن الجامعة المصرية تقصر أكثر مما تقصر هي في أن رجلاً له مثل كفاءته يستطيع أن يجد العمل الرحب بالفرص المواتية خدمة الأدب في مدرسة فرنسية أو أمريكية بالقاهرة ، ويكفي هذا الإيلام الذي ينكأ جروحاً ويشكك الإنسان في القيمة التي تعود عليه من الإخلاص والجد .

أما عن فكرة هذا البحث فكل مجاهد وباحث ، ومن مراميه من أقيم ما فكرت فيه لتنظيم الكرسي وليصلح التدريس بالجامعة المصرية

ووعدنا كلنا حتى أن أعرض القصور إلى الفرنسي و الفرنسي للإنسانى ، وقد
ألفيت في صدره رحم جذوة لن تخمد ، ومن يتأملها يشكر . ولكن مضيت
الأغراض بك أسعد من العاصمة ثان رحلاتي بعد كريد ... أني وكر في
الشيخ آثار الحب من المسالك ، وقد مرّوا القراءة مرتا أمانا .

والذين يعرفونني لم يعيروا عنى إلا علهم كلى رجل أعرف ،
لا أصل إلى حرب من الأحزاب ، وليس لي الحكومة هم أو حال .

فرح ، زكي مبارك من العامة . ولكنه لم تخرج من ميادين الأدب
والصحافة ، وأخذ يصل الليل بالنهار ، لنيل المجد . ولعل المجد إلا إنصافه
الأرستقراطية بكل قدر ونبو من الإلكاف الفهمة . وقد جاء الأستاذ
الشيخ مصطفى الدباغ ، عندما قال له يوم أن ألف أول كتاب وهو
« حب ابن أبي ربيعة » :

« ومجير عن نظر به — أي كتاب « حب ابن أبي ربيعة » — أن
يكل عنه ويكبر مثله لما عرف به الأستاذ « زكي مبارك » من سلامة
الذوق وأصالة الرأي وما امتاز به من جد النظر ، ودقة الملاحظة مع ماله
من رشاقة الأسلوب ومتانة التركيب ، إلى غير ذلك من المزايا التي
جعلتنا نأمل كثيرا أن يكون هذا الأديب الحر إماما من أئمة الأدب ، ومجليا
من مجاهد الأمة بعد الله خيرة الشباب المصريين وأبنائنا الناهضين » .

وأصبح « زكي مبارك » حجة في ميادين الأدب والصحافة بنجاح ،

وأت [illegible] أن [illegible] في مجال التفتيش [illegible] وزارة
المعارف وذلك في سنة ١٩٣٧ م [illegible] وزارة المعارف [illegible]
الأديب المصلح الذي سعى إلى النجاح في طريق [illegible] والعلم [illegible]

وله طرائف [illegible] في التفتيش وقد كان في أول أمره [illegible] في ناحية
المدرسين [illegible] كان يأخذ كراريس التلاميذ [illegible]
[illegible] كل كراس [illegible] والفواصل [illegible]
أن التلاميذ في المرحلة الثانوية لا يقصدون دائما [illegible] وله [illegible]
[illegible] كل خطأ يراه في كراريس التلاميذ [illegible]
[illegible] من قبل .

ومن طرائفه [illegible]

ومن [illegible] الذين [illegible] عليهم ، [illegible]
بالتطلع في المدرسة بعد خروج التلاميذ [illegible] ، وأخذه
[illegible] من [illegible] المطالب [illegible] .
[illegible] في التصحيح والتصحيح [illegible] أن أقدم عليهم
[illegible] وأن يتأخر [illegible] الإجهاد .

ومن طرائفه أيضا في التفتيش أنه [illegible] إحدى مدارس
الإسكندرية في يوم [illegible] في البيوت كما [illegible]
وجد بعض الطلبة [illegible] من المدرسة [illegible] إلى الوزارة [illegible]

به في الواجب في المدرسة [illegible] وأن [illegible] ستة أسابيع التلاميذ يضيعون [illegible] حر

« وما كان الغائبون ( ستة أسابيع ) ولكني رأيتها كافية [illegible] من قبل ، وما فصل التجديد إلى أن أبتكر بعض القواعد ؟ . . . »

فابتسم الوزير [illegible] بالتقرير [illegible] ، فقال

« إن اليوم الذي طلب فيه التلاميذ كان يوماً عاصفاً ، وإن الزوابع [illegible] بعض [illegible] ، وأخرته ثلاث ساعات ، وإن [illegible] يعرف ذلك ويذكر أنه [illegible] ثلاث مرات في الطريق ، وإن [illegible] في ذلك اليوم كان [illegible] في أقصى [illegible] . . »

[illegible] ويعرض عليه [illegible] المدرسة ، ولكنه [illegible] يذكر الوزير بأن شوارع الإسكندرية [illegible] ، فلا عذر [illegible] إذن ، ويذكر الوزير بأنه في « باريس » [illegible] حضور الطلبة [illegible] في الأيام [illegible] ، فاستراح الوزير [illegible] أيام [illegible] وقال [illegible] أحسنت [illegible] أحسنت !

إلا أن [illegible] زكي مبارك ، [illegible] ١٩٣٧ ، [illegible]

من المفتشين .

[illegible]

# كتاب التصوف الإسلامي

هذا الكتاب نال به « زكي مبارك » الدكتوراه الثانية من الجامعة المصرية وبه رأينا أنه لا يكتفي بما ضمه من إجازات علمية وإنه يحصل بين كل فترة وأخرى على دكتوراه جديدة، وقد سئل عند ما كان في « باريس » عما إذا كان ينوي التقدم لامتحان الدكتوراه الرابعة أجاب بقوله:

« جواب هذا السؤال عند أبي الفرج « سليمان مبارك » فإن شاء له أبيه وعطفه أن يعفي من حرم الأمل فإني سأهاجر في سبيل العلم إلى ألمانيا أو إنجلترا..

لقد تقدم « زكي مبارك » لنيل الإجازات العلمية الثلاث متتاليا، وكان تقدمه للامتحان كل مرة تتبعه رائحة تلفت النظر، وتستحق الحمد.

قدم كتاب التصوف الإسلامي في سنة ١٩٣٧، ونال به إجازة الدكتوراه بدرجة الشرف، وكان من أعضاء اللجنة الدكتور « منصور فهمي » والأستاذ « مصطفى عبد الرازق » والدكتور « عبد الوهاب عزام »، وقد كان رئيس اللجنة هو الدكتور « طه حسين »، ولكنه اعتذر عن الحضور، وأناب عنه الأستاذ « شفيق غربال ».

وامتدح الأستاذ « محمد جاد المولى » بصف « زكي مبارك » في يوم الامتحان، وهو الذي كتب مقدمة هذا الكتاب، وقد كان أحد أعضاء

القيمة التي استحدث المؤلف في كتابه « الأخلاق عند الغزالي » نيل الدكتوراه » وقد رأيناه كيف أثار ذلك الشيخ وما جمعه حوله من الخصوم ومحنة الامتحان .

ويقول الأستاذ جلال سويل :

« ما وقع بصري على الأستاذ الدكتور « زكي مبارك » إلا تذكرته بصري عليه في سنة ١٩٢٤ إذ أقدم في زيارة المعارف عصرا بالسعة التي أدى أمامه امتحان الدكتوراه بالجامعة المصرية أول مرة »

ثم أخذ يصف الأحداث التي لازمت ذلك الامتحان ، ثم يعرج على الدكتوراه الثالثة فيقول :

« وكذلك حضرت مع النظارة الأولى هذا الشيخ الذي اشترك في امتحانه منذ ثلاثة عشر عاما ، وكونت فيه رأيا لا يرضيه ، ثم اطلع عليه فماذا رأيت ؟ ومنها لاحظت ؟ .

رأيت طالب الدكتوراه في سنة ١٩٢٤ غير طالب الدكتوراه في سنة ١٩٣٧ كان الطالب الأول يحمل جهة الامتحان ، فلا تهيب ولا اكتراث ولا أكثر لها . أما الطالب الجديد ، فكان آية من آيات الأدب والتحرق وكان مثالا من أمثلة التواضع والاستحياء يسمع السؤال يحمد ويجيب عليه بذكاء ممزوج بالتحفظ والاحتراس لقد تغير تغيرا كليا واتصلت الصلة بين حاضره وماضيه أشد اتصال وكذلك يصنع العلم بأهله الأوفياء فهو يزيدهم تواضعا لا يعرفون العنف ولا

النظرية ولا الفكرية ،

وما دمنا قد استشهدنا بكلام الأستاذ محمد لطفي جمعة فإني أرى من الأفضل إيراد رأيه في هذا الكتاب إتماماً للفائدة. قال

«ومن واجبي أن أصرح في النقد، فأصرح بأني لا أميل مع الدكتور زكي مبارك، في كل ما ذهب إليه من الآراء في كتاب «التصوف الإسلامي»، ولا أقره في ذلك، فالباحثون لم يتفقوا على رأي واحد، وإن كان ... وهذه طبيعة المتصوفين أن يكون الباحث حسن النية، مستقلا في آرائه الشخصية، والدكتور زكي مبارك، من هذه الناحية، متفوق كل التفوق، فهو في كتابه هذا يدرس التصوف دراسة من يفهم أسرار التصوف

والنقد الذي ظاهر كل الظهور في هذا الكتاب، فالمؤلف — أكرمه الله — يدرس الوجوه المختلفة للرأي الواحد، وقد يصل حاله إلى الغرابة في بعض الأحايين، حيث يعرض عليك عدة صور لرأي من الآراء ثم يعرضها لك بصورة كأنها رأيه الوحيد، وكأنه أشخاص يتحاورون، لا شخص واحد.

وذلك هو النقد الصحيح فيما أعرف، وهو لا يتوفر للباحث إلا حين تتسع مراجعه، ويتجرد من التعصب لرأي من الآراء.

وقد ألف مستشرقون عدة مؤلفات في التصوف ... وربما كان في حاجة إلى كتاب جديد، فأخرجه المرحوم الدكتور زكي مبارك،

من أنه لم يؤلف كتابه في الدعوة إلى التصوف أو الهجوم على التصوف ، وإنما ألف كتابه في نقد التصوف ، بين ما فيه من محاسن وعيوب ، وكشف عما فيه من صحيح وزائف . بعبارة هادئة لا تعرف [illegible] أسلوب معين

ولا يعد هذا التسجيل ، أعتقد أن هذا الكتاب يرضي [illegible] الروح وأعتقد أنه يرضي المتصوفة بالهيبة [illegible] القارئ إلى فهم أسرار الكمال . ولتسجيل هذا الرأي يرضيني من الإحساس الذي أرقني منذ سنة ١٩٣٤ [illegible] الدكتور [illegible] الرجل الفاضل [illegible] في الدراسات الأدبية والفلسفية .

وكتاب التصوف الإسلامي كتاب ضخم يقع في ثمانمائة صفحة من القطع الكبير . وقد صدرت الطبعة الثانية منذ سنوات قريبة بعد أن نفدت الطبعة الأولى منذ أمد بعيد .

وكان في هذا الكتاب فصل مسهب عن ( المدائح النبوية في الأدب العربي ) ولكن اللجنة المشرفة على الكتاب ، رأت أن يظهر هذا البحث مستقلا عن الكتاب . وقد وافق المؤلف على رأيهم وأصبح هذا البحث في كتاب مستقل يقع في ثلاثمائة صفحة من القطع الكبير . وفي صفحات الكتاب نصوص من القصائد النبوية في مدح النبي وآل بيته [illegible] الشعراء الإسلام كـ [illegible] و [illegible] و [illegible] و [illegible] ابن [illegible] و [illegible] و [illegible] و [illegible] و [illegible] و [illegible] و [illegible] .

# إلى بغـــداد

جمال اليوم من زكي مبارك ، [illegible] وحيي العراق [illegible]
بأن سافر من قبل مصر مراداً ، [illegible] بغداد ، [illegible] أهراق

— ١ —

كان زكي مبارك يتوق إلى السفر إلى باريس مشاهداً ، تحرضه الحوافز ، وقد كان في تلك الفترة حديث عهد بالتحصيل أي في صيف سنة ١٩٣٧ ولكنه أبى أن يسافر إليها إلا من مكتب التعليم [illegible] ، وأخبره الأستاذ محمد [illegible] أن « حكومة العراق » [illegible] في « دار المعلمين العالية » ببغداد . وقد كان مترددا في أول الأمر حريصاً على البقاء إلى جانب أولاده الذين يسرهم أن يقترب [illegible] الحياة [illegible] من الحرية والاستقلال ، ألا يطول [illegible] . .

ولكنه تلقى خطابا من « المفوضية العراقية » بالقاهرة بتوقيع النائب القنصل العام يقول فيه :

« حضرة الأستاذ الدكتور زكي مبارك المحترم

تحية واحتراما

يسرني جدا أن تخطر وزارة المعارف بأن [illegible] موعد [illegible]

في مسألة التحكيم التحريري في العراق ، بناء على تعهد منه ورزقي المحاسني
العراقية في ذلك ، وتحتفظ بجبول فائق عفان وحمزة ؟

فمن مرّ كل مبارك ، هذه الدعوة الكريمة ، وكل برنامج ، وكيف لا
وهو ذاهب إلى العراق بلاد الرافدين ، حضارة ، بلاد الكرم من مصر العربية
بلاد السادة الأعلام الذين تركوا الثقافة الراقية في جميع أنحاء الطليعة العراقية
التي شهد أروع المعارك الحربية التي غيرت وجه التاريخ ، وأروع
المعارك الأدبية التي حققت للأدب العربي إلى ذروة النجاح ؟

فقبل الدعوة ؟ لأنه رأى بأنه لن يمس بأية حرية ، وكأنه في بيته
في مصر

وهذه أمنية كانت تعترف بها ... أحد جهد ... بعد أن عرب
ونقل معاهده الأدبية من القاهرة إلى باريس ، ويستطيع أن يترك
آثاراً حسنة في البيئات الأدبية هناك ... أدرك أن واجبه الأدبي يحتم عليه
أن يرحل قليلاً ، وينقل معاهده ومعاركه الأدبية إلى بغداد ، وعلى
أساتذة الشباب الأجلاء في الأدب والفلسفة

فقبل الدعوة وتوكل على الله ، ولكن أصدقاءه الكثيرين ... سيسهم
أو صادق قبل سفره قائلاً : ستقدم بغداد وأنت كاتب معروف ... 
عليك المصريون يسألونك كيف رأيت بغداد ؟ ... كثير
ورق ، أن تصرح بشيء ... لأنك موظف في حكومتين ، ومركزك ...

وفي هذه الرحلة شيء لا يخفى على القارئ الكريم وهو أن الدكتور «طه حسين» يعرف «زكي مبارك» الأديب الذي نقل المعرفة وحرص على بعض ما ذكره من مناظر الأديب ... فإنه ... الرحلة لكن ... من ... الأدبية ... الراحة

سافر من طريق البر إلى «فلسطين» وذهب إلى لبنان والشام وقطع الصحراء بين «دمشق» و«بغداد» في إحدى السيارات الكبيرة التي تقطع المسافة في خمس وعشرين ساعة، وفي الصحراء حدثت له خواطر لطيفة عن الصحراء، ويقول:

«وبعد ساعات من عبور الصحراء ظهرت لرؤيتنا ملامح على مدينة بيضاء صغيرة تقع على نهر واسع تجري به سفائن التجارة والزراعة، فانشرح صدري ... ثم ... من جهل الجغرافيين من ذلك الطريق فما كنت أعرف أن هناك مدينة تقع على نهر الفرات ورجعت إلى أستاذي «إسماعيل رأفت» الذي ... جغرافية المدرسة ... ما كنت أعرف من دقائق علم الجغرافيا وعلم وصف الشعوب، ولكني لم أسمع بذكر ... حتى ... مرة واحدة ثم عرفت أنها كانت إمارة من أعمال السراب»

وعند ما وصل «بغداد» واتصل بوزير المعارف آنذاك وهو الأستاذ «محمد رضا الشبيبي» وأخبره عن متاعبه في الصحراء وطول الطريق،

فقال له تفكر وبك ، عند الطلب ليالله في هذا عهده عنه وعشرين يوما
إلى أن أمرها السهارات .

لقد كان • الشيبي • المباراة في عصره وعشرين يوما والطب • وكل
مباراة • في حسن وشحرين ساعة ، وبعضها الشعر في • باب عنه صاحبين
الذين بعد ا لا أقب بالمسيح الوس ا • وما يكر • عقل الإنسان

وما كان يصل إلى • بعدائه حتى استطرت الأوساط الأدبية والعلمية
بشعره ، واستقبله المثقفون استقبالا يليق بمكانته الأدبية ، وأخذ يملأ
أنهار الصحف بكل طريف وجديد من الأفكار ، ويرقى إذاعة أحاديثه من
محطة الإذاعة ، ويراسل صحف مصر بأخباره الأدبية إلى جانب دروسه في
دار المعلمين العالية ، ومحاضراته عن التعريب الرسمي في كلية الحقوق .

إن الفترة التي قضاها في العراق — على الرغم من قصرها — كانت من
أخصب أيامه الأدبية ، وقد استطاع أن يكتب آلاف الصفحات في شتى
فنون الأدب ، واستطاع أن يخلف القراء بكتبه ، ويهيئ للترجمة في العراق ،
و ووهي بغداد ، ، وملامح المجتمع العراقي ، ، وعنى بالتعريب الرسمي

والذي حمله يجمع كل هذه النتاج في • بغداد • هو • خلاصة التي
كل مضرب الأمثال ، ووريه للترجمة التي حببت إليه الجمهور المثقف
وقد كان يسره • طبعه من المرح والانشراح ، وسبب آخر وهو نسخه
في بغداد بالعلاقة الواسع في الأدب العربية والأوربية ، وقد كان في

هذا الجانب المتفرس الثائر الاجتماعي إلى جانب الناحية الأدبية من شخصيته

— ٢ —

وأنا رجل عرفه هذا الجيل بمقالاته «ليلى المريضة في العراق» في مجلة الرسالة، وكانت مجلة الرسالة تنتشر في جميع البلاد العربية، وهذه السلسلة الأدبية كانت تطبع ...

وهذه الرسائل جمعت في كتاب يقع في أكثر من ألف صفحة، وهو في الواقع كتاب غريب ... مؤلفه الدكتور الذي لا يعرف أنه دكتور في الطب ... ليلى في «العراق» ... من مرض «ليلى».

ولقد كنت الطبيب الوحيد الذي استكشف هذا المرض الخبيث وألقيت عنه محاضرات في «باريس» بعد أن أجريت الاختبارات النهائية في الطب، ثم نشرت خلاصة عنه في المجلة الطبية المصرية، ولم أظفر — رغم ذلك — بغير السخرية والتهكم من زملائي في مصر ... أساتذتي في «باريس».

ربما قرأ هذا الكلام قارئه اليوم في كتاب «ليلى المريضة» ولم يعرف عن ... شيئا، إلا أنه يرى أن هذا الكلام صحيح لا غبار عليه.

وقد حدث مرة أن جلس صديق وقال لي: ما بالك تذكر في كتاباتك

أن « زكي مبارك » ذكر كثيراً من الأحباب فقط بينما هو ذكر ... الأحباب والقانون والعتاب كما عرفت ذلك في الجزء الأول من كتابه « ليلى المريضة في العراق » ؟ فأجبته إن ظاهر الأمر لطائف « زكي مبارك » وما يرد في كتاب « ليلى المريضة » من تعابير الحب والأحباب ، وسماحه « ليلى » و « ظمياء » ما هو إلا لمحة من لمحات الطريقة التي بث في كتابه هذا ، والجوهر أن « ليلى » ليست شخصية حقيقية وإنما هي شخصية مستعارة ، ابتكرها المؤلف لمحبة الوحدة الذي بين يديه ، والقصد به أن « ليلى » — حسب ظني — هي اللغة العربية التي هام بها « زكي مبارك » وأصبح صديقها حبيبا لم يتسع صدره إلا لحبه أيما ود

ولقد سئل « زكي مبارك » عن « ليلاه المريضة » فقال « إنه » « ليلى الوجدانية » هي « العراق » وأنا أصرح بأن « ليلاه » في « بغداد » هي « ليلى المريضة في العراق » ، وهي معروفة لجميع الناطقين بالضاد فمن هي ليلى هذه التي يعرفها جميع الناطقين بالضاد ، إن لم تكن اللغة العربية ، وسبب كتابة هذا الكتاب هو ما قاله بنفسه

« ... » ومعنى أن يقال إن « رواية » هو أعظم من عرض بالكلمة الحب فأخذت كتاب « ليلى المريضة في العراق » لأتمم التدليل على أن في كتاب اللغة العربية من بعض أشهر الشعراء على « وسيلة »

وهو كتاب عرضت فيه من جميع القيود والأغلال وأردت أن

يكون أصدق تعبير عن المدرسة العربية في هذا الجيل ،

ومن طرائفه عن الطب قوله

« ولولا حماية الأدب لكنت اليوم عميد كلية الطب بالجامعة المصرية » فهل يلام بعض القراء إذا ظنوه طبيبًا من كبار رجال الطب في هذا العصر ، بعد أن يقرءوا هذا الكلام وأمثاله ، خاصة إذا رأوا الصورة المنشورة في كتاب « ليلى المريضة » ، وهي منشورة بصفة طبيب يعالج ليلى ، وهي مريضة الفراش وبجانب وسادتها الدواء ، وإذ كتب عنه الدكتور على مرض ليلى ومرضه في العراق » ، وقد نشرت هذه الصورة بعنوان « حبيبتي » العراقية وقبلها « زكي مبارك » في كتابه ،

وهل يلام القارئ إذا ظن أنه طبيب إذا قرأ هذه الجملة بقلمه

« إلا تليفونه المشهور الذي كلفتها بعد ثلاث السنين أن الأدب أضاع الآلاف من الأطباء كانوا سيخلقون في مصر » ومن ضحايا الأدب و « أحمد زكي أبو شادي » و « زكي مبارك » .

أما في الأدب والثاني طبيبان هما صحيح ، وأما في « زكي مبارك » طبيب فالعلة أنه طبيب الأدب غير طبي ، ولكنه كلام لطيف يرتاح له النفس [illegible] « زكي مبارك » [illegible] والاستهزاء ، ولكنه قال الاستحسان؛ لأنه صدر من أديب حر صاحب طريقة في الأدب العربي الحديث

ويصور دوركل منهما في مسكه، فراقه عن «النيل» والطيب ،
ويظهر خطابا منه يحمد له على تبرعه بالنيل في البلاد ... والخطيب
من أحد أقارب «النيل» يقول به

• وهكذا الكريب في جميع الله من خطاب وحيلة ، ويشكو
تمويه عن عيد الخاطر ، ويقول إني إذا قلت لم يكتب فخلني معه على
وفيما في الطب ، وأرى خيرا في عالم الأدب ، وجل هذه تركتك الرب
يخلص منك ، لما مضت هدى مع الرئيس «النيل» ... »

وصار موضوع «النيل» المريضة يشغل الفكر الفاضل ، وكان يقسم المؤلف
بين الشيء والآخر من مسائل التصحيح ومسائل التصرف في مسائل التصحيح كان منه
ملخصين كانوا يحضرون إلى الأمام لبنادي «النيل» المريضة في الخطوط وأيه
خطاب آخر يحضر «المعارك» «النيل» المريضة في السودان» ... ويقسم خطابات
أخرى من «النيل» المريضة في قوماك» أو «مصر الجديدة» أو «سعوران»
وكلهن كانت على المؤلف لا يجاوز الكتابة عن «النيل» ... العراق»
وله على المؤلف خطاب يقرب فيه صاحب

• في أسمر كلمات النيل – أمرها الخاص كتبه شرب صحراء النطق ،
ويتطلع أسماك ... إشغالها عليه ، فأرجو أن تطلع صاحبه ويحله على
هذه الأبيات ، حسابها نحب أن نوضحه بحرم أن يستمرا ويحنها حلقه
ويعطيها حبك .

وعنه في الأبيات

يا صاحب الاسم المبارك … وصاحب القلب المشترك

[illegible] أنت [illegible] … [illegible]

[illegible] في الشمس … شمس الشمس [illegible]

لا [illegible] بالسحر [illegible] … [illegible] ولا [illegible]

وكان لهذه القصائد مجال [illegible] في الصحف وفي المجلات الأدبية ، وقد أهدى أحد أبناء العراق — [illegible] — [illegible] حبيب ليلى [illegible] [illegible] الأفكار ، [illegible] في كتاب [illegible] ، [illegible] .

وكان المؤلف [illegible] [illegible] أيضا [illegible] [illegible] في ذلك [illegible] في إحدى [illegible] ، [illegible] ، [illegible] في مجلة الرسالة ، [illegible] الدكتور [illegible] إلى العراق ، [illegible] [illegible] [illegible] ، [illegible] العراق [illegible] لا [illegible] إلا [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] من الأمر [illegible] الرسالة [illegible] [illegible] الأسبوع [illegible]

وقد كتب [illegible] [illegible]

«لقد أحدثت رسائل الدكتور «زكي مبارك» التي نشرها بمجلة الرسالة الغراء بمصر، تحت عنوان «بين مصر والعراق» دويا هائلا ومكانا طيبا في نفوس أدباء البلاد العربية على حد تعبير الأستاذ مبارك في وصف الشعب فأصبحت حديثا في عالم الأدب».

إلى جانب هذه الرسائل كتب بعض كتاباته الطويلة عن «الشريف الرضي»، ورسائل الصحف بكتاباته القيمة وبعض أحاديثه من محطة الإذاعة — كما قلنا سابقا — وإنه كان يرد على منتقديه في صحف «مصر» و«لبنان» و«العراق».

— ٣ —

وجد «زكي مبارك» نفسه أثناء وجوده في بغداد والقراءة قبل ذلك في بغداد دون أن يزور المراقد العراقية ويرى الذكريات الجميلة التي قرأ عنها كثيرا في كتب الأدب والتاريخ والفلسفة.

وأخذ يعد العدة لزيارة البصرة — وطن «الجاحظ» و«المبرد» و«الحسن البصري» و«إخوان الصفاء» — وطن الشعر والنخيل والأعناب. استقل القطار إلى البصرة ... [illegible]

دون الضجة ... [illegible] ... الراكب ... [illegible] ... فأشار إليه بأسنانه والقطار

عشي في بغداد عشرة شهور ، وجعلنا من أساتذة الرحمين ما اطرف الحديث في بطاح البصرة وما أحلاه !

وما كاد الشتاء يستقر في حول حتى همّ الشتاء بحر ما لم أعهد مثله منذ أعوام حتى ظن أن ذلك لطف من الله بأرواح أصحاب أرهف الجمال وسحر الليالي .

وما كاد المجمع البصري الثقافي يعلم بقدوم الأديب الكبير حتى هب لاستقباله ودعاه لإلقاء محاضرة يتحدث فيها عن الأدب الفلسفي وقد طلعت الصحف البصرية تحمل هذا العنوان الدكتور زكي مبارك يحاضر أدباء البصرة في تأثر هذه البصرة الفني والأدبي والفلسفي ، وقالت إحدى الصحف

« يعجب الفيلسوف المفكر في البصرة ، حضرة الدكتور ، زكي مبارك ، أستاذ الأدب العربي في دار المعلمين العالية ببغداد ، وكان يرجو أن تتاح له فرصة الاجتماع بالقادم الكريم ، ومن حسن الحظ أن هيئة نادي البصرة شعرت بهذه العاطفة فأتاحت للشعب البصري أن يستمع إلى محاضرة الدكتور فكانت فرصة سعيدة غنمها البصريون »

وقد كان يرى أن يزيل طويلاً في البصرة بلاد أساتذة الإجلال في الأدب والفلسفة ، والفكر واتجاهاته الكثيرة التي تخطر من ، جعله يحس بالغربة بعد أن نشب في البصرة ذكريات جميلة كان يحضر ما يحن إليها كثير

— ٤ —

وكانت جولته الثانية إلى «النجف» عقيب ذلك وهي من طريق كربلاء
والحلة ... إلى «النجف» ... وكل مبروك ... من السكن شطر البصري
وكان ... من ... أصغر من ... ، وكان يأمل أن يجد ... 
... ، إلا أن النجف ... الوافدين لزيارة الإمام
«علي بن أبي طالب» ... إلى ... 
... ولا يجوز ... كان ... 

«واصرخ في وجه ... قائلا : إن المدينة التي ... من ... 
لا تسمى مدينة ، والذين ... في أوروبا ... لا يستطيعون
... في منازل ... ، و... النظيف من ... 
في أهل «النجف» ، ... أن ... في حاجة إلى ... 
... أن مثل ذلك ... من حال إلى حال».

«والنجف» ... التي
يرتاح فيها ... والهدوء ، ... أكثر ...
إلى «النجف» ... من ... الإمام ... في ... 
... 
... في منازل ... 
... لا ... من السكن ... في منازل ...

منظورين ، والتعجب ممن يرى تقصيره إذ عجب من عجزه ، زكي مبارك ، لأنه ظل حضرته ما زالت تنتظر من القصص الطيبة لا سيما وأن مجلة ، التعجب ، العبث ، ودعوة جريج ، الإمام ، حب ، وقرنا من ، الذكرة ، والأرملة ، كل هــذه تجري السباح على اختلاف أنواعهم بر وترتيب فأين يمكن ذلك ، وألا تكون تلك الفنادق السابقة والمقالات المقررة سبب لتدريسهم ومقابرهم البلاد ، يرجعون من النهضة الأدبية .

وعندما علم الشعبيون بوجوده ، زكي مبارك ، بعث عليهم خطوا لاستقباله ، والقيام بواجبات الضيافة ، والتفوا حوله يرحبون بقدومه ، وكيف لا ، وأعماله المنظورة تسير في شرق البلاد وغربها ، ولذلك كان الجمهور ينظرون إلى هذه الزيارة منذ وطئت قدمه أرض العراق

وأخذ يحتفل قراء القائل بتحويل الرسوم الصحفية ، بعد أن رأى الجمهور لأثر على أرضاهم القديمة ، ومن أقواله بهم

، فقد صح عندي أن الأساليب الأزهرية والمعاهد ، أساليب تنفع أجزل النفع في رياضة العقل ، يضاف إلى ذلك أن ، الأزهر ، هو الذي حفظ اللغة العربية في عهد المماليك ، وأن ، الأزهر ، هو الذي حفظ اللغة العربية في عهـــد الأتراك ، ومن هنا يجب الإبقاء على تلك الأساليب التي استطاعت أن تحمل الذوق في دياجير الظلمات ،

وقد جئنا على عهد الكلام في الفصل الذي تكلمنا فيه عن «الأزهر» ، ولا حاجة لإعادة ما قلناه هناك . وراء «الكوفة» عاصمة الإسلام في أيام «الإمام علي» ، ومدينة «القرطبيـــة» التي كان لها شأن عظيم في الدين والعلم والسياسة ، و«الكوفة» التي شهدت صراع الأبطال ، وتركت [illegible] بها العلم [illegible] وجرت فيها الأحداث بعد الكارثة المشهورة !

وتركي مبارك ، من الأدباء الذين [illegible] الأثر ، [illegible] فيها مصر . [illegible] كتاب مصر [illegible] ورأيته فيها أجمع [illegible]

[illegible]

وقد شهدت بعيني كيف [illegible] على بن أبي طالب ، ورأيت فيه رأي [illegible] ، ورأيت المكان الذي خطب فيه «الحجاج» خطبته المشهورة ، و«الحجاج» [illegible] الذي أصلح «العراق» ، وأفسد «العراق» ، ورأيت [illegible] «مسلم بن عقيل» ، و[illegible] «الحسين» .

ومن «الكوفة» مضى إلى أرض «الحيرة» — عاصمة [illegible] التي [illegible] عن الوجود ، وأخذت إلى أرض جرداء ليس فيها إلا أحجار [illegible] الأطلال ، ولا آثار [illegible] الأيام «الخورنق» ذلك القصر المشهور الذي يذكره التاريخ بالعز والفخار ؟

وماذا عن [illegible] «المدائن» ، [illegible] «الخورنق» في الأدب والعظمة ، [illegible] التي كانت عاصمة العرب [illegible] أيام [illegible]

واتضح "زكي مبارك" نفسه يعترف بتبريزه في النثر، ما يضعف في قصيده
من الذكريات الحرة

ومن أهدافه في ديوانه "أحلام الأديب الحيران" أنه كان يهيم بـ
ليلى بين "الحيرة" و"ليلى في الحيرة"؟ [illegible] بالجندي
المجهول في وادي النيل [illegible] يصور الشاعر من خلال أحداث
ليالي حياتهم الخاصة!

أيها الشيخ صاحب اللقب العربي العظيم أين الفخر في مراح الصدور؟ •
أعرف أيها الملك بمكانة الشعر والشعراء، نحن الذين حفظنا مكانك في
التاريخ ولولا الشعر لنسي الزمن مكانك في التاريخ . .

وأقيمت "لزكي مبارك" حفلة تكريمية كبرى في مصر، جمعية الرابطة
العلمية الأدبية، تكلم فيها كثير من أولياء الصحف، وشعراؤهم السابقة
الشيخ "محمد علي الطاهر" و"مصطفى الصاوي" [illegible] الحول
و"محمد جمال الفاسي"، و"محمد عبد المنعم خفاجي"، و"كاظم حسن الخالدي"
ثم تكلم المحتفى به فذكر المناسبة شاكراً للعلم والصداقة. وتكلم عن
الحياة الأدبية بمصر والعالم، ونظرات "الشريف الرضي" و"نهج البلاغة"
ولم ينس الكلام عن العيون السود، وقال حكاية [illegible] بعض الشكايات
باللطائف [illegible] وفي [illegible] ونظراتهم
وعقد الكلمات [illegible] في آخر الجزء الثالث من كتاب "ليلى المريضة"

فى الشرق ، فما كلمة القصص ، هى مستمدة فى كتاب « من بعده »

ولقد وضع مثل هذا القصص مند أن ترك أطيب الأثر فى نفوس المعجبين ، وذكراه ماثلة بالعطر ، أعذبه بالعجب ، وعجائب الأدب ، ويذكره المعجبون حين يرجعون إليه بكل تقدير وإعجاب

---

« والموصل » « هل يجمعنا » زكى مبارك » بعد الخاتمة الرمزية لقصته الدين الثانى الخاتم التى عقدها الشعر فى أشعارهم استقل القطار وحدثنا فيه حكاية شعرية كالتى حدثت له فى قطار البصرة !

لقد كان يهوى ، بعد أصدقائها ، الأدب الجميلة ، وكان ليها الحب تمرح « زكى مبارك » الجسم وكان فى نفسه حرص ، كيف يستطيب الحب يوم يصل إلى بلاد بهلاد ! »

وفى هذه المرة قابله الشعر الذى أبى إلا عليه فى قطار البصرة ، فشام ثم يعرف معالم الطريق لا يقرب ، وليست أخرى كيف يستطيع النوم فى القطار وهو الأديب المرهف الإحساس الذى توقظه الهمسة الخفيفة والنسمة العابرة وهو الذى يأنس بوحشة الليل ، فى ظل القمر والأرق وهذه الظاهرة تعليل واضح ، وهو أنه لم يعد وكان يرتاح فيه من صرير القلم وخشخشة الورق وأضواء المصابيح ، إلا فى ليالى السمر حيث تنصت الكتابة فيهمس القمر حساً ليعوض ما فاته من لذيذ الرقاد فى الليالى السالفة

تلك الليالي التي جمعت عصابة مبروكة منهم . إذن فليس عجباً أن يجد جسمه لم يحترق بين كلاب القاهرة وعصر الأنوال

وفي الموصل ... [illegible] ... هو أهل له ... [illegible] به أجمل ترحيب ... وهو كعادته دائماً أينما يذهب فأصبح ... خطر الأربعاء ، ولكون تلك الأخبار على كل لسان ، ولقد ظن الناس أنه ترك الكلام عن ... حتى عودته إلى ... ولكن خاب ظنهم ... إلى البصرة ، والمجلس ، والكوفة ، والموصل ، ... أبي ... إلى ... وكل رأى عليه ذلك ... بل .

ومن أين يحصب بأخبار الحلاج هذه في الأخيرة من كل أخبار ، وفي الصفحات الثلاث يتكلم بها عن رحلته إلى الموصل ، ... كل ... يرجع عن ... وأخبارها من الحلاج

وفي مدارس الموصل ، ومساجدها ومعاهد ومكتباتها ، وفي ... ما ورد في رحلته ... أن الدكتور عبد الوهاب عزام ، عندما ... بالموصل ... الدكتور ... ولم يستطع ... من ... بعد أن ... [illegible] ... فقال ... بالمصرية ؟

ونحب ... أن ... من ... الرجال ، وعندما ... الدكتور عزام ، على ... [illegible]

محمود تلك الثائرة ، وأوقد الحروب ، ولكنه تذكر شيئاً هاماً وهو أن الليل سينتهي بالفجر ، فخشي أن طيب أصبح من الأشباح ، وهنالك صمد الثائرة ببراثن الحب عليه كما يقول .

وفي « الموصل » زار الأديرة التي كان لها في شعر الشعراء أروع نصيب ، وقد أنس بالرهبان وكان له معهم أحاديث طريفة ، يقصها القارئ في كلامه عن رحلته إلى « الموصل » .

— ٦ —

ولنعد الآن إلى « زكي مبارك » في رواجهاته ودراساته الأدبية وحياته في « بغداد » ، فقد أحب « العراق » حباً جماً ، وكلما كتب مقالا أو بحثا أشعر القارئ بحبه الخالص للعراق والعراقيين ، فأحبه العراق والعراقيون حباً بحب وإخلاصاً بإخلاص ، ولقد تعلق قلبه حتى كاد يطير عنه الصبح ، حين طالع بصره في دجلة أول مرة وشرب ماء الفرات صرفاً ، فيما هو أشهى وأطيب من الرضاب ممصوص .

وفي « بغداد » ، لقد كان يثني على ليل « بغداد » ويفضله على ليل « القاهرة » و« باريس » ، لأنه مكث في شهور طويلة من أشد أوقات المسببات في الأدب والفلسفة والاجتماع والسياسة ، وقد صرح للعراقيين بأنه سيهيب ليل « بغداد » ويضمه في جيبه وينقله إلى « مصر » ويقول « الليل ستخلو القاهرة فيخلق « زكي مبارك » من جديد ليل « بغداد »

الطويل الذي يصل في بعض الأحيان إلى سبع وسبعين ساعة وسبع ليال
ليال بعدها الذي حل المشكلة السودانية مع شكرانا إلى ... ارده لعارضه
لقضية من ... بعد ... وكل مراحله

أصبح ذكر حمزة لدى العراقيين حباً عظيماً حتى أنه حزن حزناً شديداً ساعة الفراق وما زالت آراؤه تشير بعد القاهرة عندما كان في بغداد ينتظر رجوعه إلى مصر بفارغ الصبر

لقد تلقى العراقيون خبره كخطابا عظيماً وأحدث الصحافة العراقية تنقل أخباره المتأخرة إلى البلاد العربية المجاورة، وصار الشباب العراقي المثقف يتبنى آراءه الفكرية ومذهبه الأدبية، وقد طلب أحياناً عن أنه رجال الفكر من المصريين الذين كانوا في العراق ... وقد ... يصل الليل بالنهار ليعبر عن ... بغضب العرب، وقد صرح عن ... بقوله «واعترف بأن كسب أكثر بالشهرة من أي مصري من أرجلة رجال مصريين إلى كسب ثقة أهل العراق ... الأساتذة: عبد العزيز ... وأحمد حسن الزيات، وعبد الرزاق السنهوري ... ... ... ... ... ... إلى ... أرسلت ... »

وقد استطاع من يسبق هؤلاء الأساتذة ويصل إلى قلوب أهل

بالعراق في هذا الوجود أخلاقه وصفاته [illegible] )

[illegible] على [illegible] من [illegible] الثاني، ولم يكتب كل [illegible]

[illegible] جديد لم يصل إليه [illegible] يكن [illegible] الأدبية [illegible]

[illegible] الكتب [illegible] الأدب، [illegible] والاستعداد [illegible]

على [illegible] التي [illegible] عند الباحثين في [illegible]

في أول الأمر بعض [illegible] [illegible] في [illegible] عاما [illegible]

[illegible] بالخير [illegible] أبيه، بكل [illegible] ... [illegible]

إلى مصر [illegible] أهله وأهل الأدب [illegible]

[illegible] كان [illegible] في [illegible] من [illegible] العراق،

[illegible] مصر [illegible] مثل من [illegible] على [illegible]

[illegible] أن أجل [illegible] أيام أن [illegible]

من أيام العراق [illegible] من أخبار العراق، [illegible] من [illegible]

[illegible] كرى في [illegible]

[illegible] من [illegible] [illegible] في [illegible]

[illegible] من [illegible] العراق [illegible] في [illegible]

[illegible] من [illegible]

[illegible] عبد الرحمن [illegible] في [illegible] الكثير

[illegible] أن [illegible] الرسائل [illegible]

وكما هو جدير بالذكر أن صاحب المشروع الذي أقيم به ... في ينعش شيئاً من الآمال ... إلى ... من ... والفناء جديراً بالتسجيل تكريم زكي مبارك .

ومن مظاهر حبه للعراق وحرصه على الجامعة العراقية ، لقد كان د. زكي مبارك ، متحمساً لإنشاء الجامعة العراقية ، كل التحمس ، وقد دعا لهذه الجامعة في مواطن كثيرة من أعماله ، ومن يقرأ ما كتبه في هذا المشروع حسبه أحد رجال التعليم في العراق ، لأنه كان متحمساً في سبيل ذلك المشروع ، وصرح في إحدى مقالاته بأنه يشعر بالفرح لجمعه ... ، ولكن ... مباركة ... الكتاب

وطالب الصحفيون بأهمية هذا المشروع منذ شهرين فقط ! ... يحتفي بالمشروع كل عراقي مخلص

لقد دعا د. زكي مبارك ، منذ ... الدعوة إلى إنشاء الجامعة العراقية ، ... عام ١٩٢٨ ، ... قبل أن يتحقق هذا المشروع العلمي الضخم ... بغداد ... هذا المشروع ... الجامعة العراقية ... زكي مبارك في ... عشر ... العراقيون الرجل الذي كان يتحمس لهذا المشروع ... بكل صدق وإخلاص وقد كان من المنتظر أن ... أخرى أو أكثر ... بما

وجدتموه في «المرافق» من حب وإخلاص، فهذا ويحاح وما وجدتم فيه
المراقبون من شمائل تعرجم بالالتفاف حوله صوتت عليه . ولكنه
اضطر حين مواصلة النشر في العراق، لكي يستطيع طبع
كتابه «التصوف الإسلامي» في «القاهرة»، ونزكاته في «بغداد»
مطابع فيها استطيع القيام بذلك الطبع مما تركه في طبعه هنالك
وبسبب هذا الكتاب لم يتمكن من تحديد طبعه وبعضها عن المطوران في
الوزارة عليه المفيدة لرئيس الدولة، وساروا أهل المستحيل يشكرون عن
عرضه، ولكن إصرارهم على رأيه جعلهم يطيرون بعشرة جنيه من الأسلاب...
وقد كانت الأرصاد الأدبية للنظر منه مزيد من التحولات، بعد أن
أنس بإخلاصه الأدب الرفيع، أما تلامذته فقد حضر عند صاحبهم
حقيقة الأمر؛ لأنهم كانوا يلمسون في آرائه الإخلاص من علمه وأدبه
وإخلاصه، وقد ظهر على السلك ما أمر به عندما كان في «مصر» ولي
هذه الرسالة — التي بعثها إلى أحد تلاميذه — شاهد صادق على مدى
الحب المتبادل بينه وبينهم

«إن من أحبك وعرفك تعرفه عمرك لا تكفيه القصة ولو كان لك
بعيد الى قربت بعيد، وأنا مرحوب لأني أحببتكم كامل نيله منه على
بكم وإني أنسى كيف كانت تمضي من الفرصة رسالة إلى واحد،
وكيف كنا نطوف بالأدب القديم والحديث؟ لا تطرحها الساعات

ورفض مسئولون اعتذاره عن عدم موافقة المال و «العراق» وهم كارهون. ويسكت عليهم أنه سيكون غضب العراق. ويحصل كل ما في السفارات التعيسة «العراق» ، ونشر خبيث «العراقي» ، وأكد لهم أن حبه العراق والعراقيين سيدفعه حرارة وقوة على الأيام!

— ٧ —

كان «زكي مبارك» يستعد للسفر ، بعد مرور ستة أشهر من العمل المتواصل ، وكان يمني النفس بالراحة والاستجمام بعد عناء الدروس ، والمحاضرات والأبحاث ، ومتاعب الاستفسارات. ولكن حدث ما لم يكن له بحسبان ، فقد احتدم طالب عراقي بسكين لحصول على الأستاذين المصريين الدكتور «حسن سيف أبو السعود» والدكتور «محمد عوض» ، واعتدى عليهما بالرصاص ثم ضرب نفسه فمات في الحال. وقد كانت إصابة الدكتور «سيف» بالغة ، فيما صدق الصحافيون أما إصابة الدكتور «عوض» فقد كانت خفيفة ، وكتبت له الحياة.

نزل الدكتور «سيف» ، فأصاب المسئولين في وزارة المعارف العراقية بالذهول ، وحدثت أسئلتهم الدهشة: ماذا سيقول المصريون في مصر ؟ وكيف تقبل وزارة المعارف عصر هذا الخبر والصحف ؟ كيف ستتحدث عن هذا الحادث المؤلم ؟

وحينما رأى «زكي مبارك» ما رأى ولمس بجروح الذي أصاب

العراقيين من جراء هذا الحادث أحد يبون القطب ويجمع أصحابه
عن العراق حتى آخر نفس وما تلك الحادثة إلا حدثة تربية بين
طالب وأستاذ .

غير « زكي مبارك » من ساعد جلده وأخذ يحشد لعرض معركة من
من أشهر المعارك الأدبية التي خاضها ، منذ استطاع أن يمسك القلم ...
فطرح المدافع عن صحة العراق ومن غير « زكي مبارك » يحسن الدفاع
عن العراق ؟ وكتب مقالا شرح فيه ظروف الحادث وطالب
الصحافة المصرية بتهدئة الخواطر ، وحذر من الفرقة ، والتعكير صفو
الصلات بين « مصر » و « العراق » ، وأرسل المقال إلى جريدة
الأهرام في « القاهرة » .

ويقول في هذا الحادث :

« إن فاجعة الأمس تعرف مصر ، وهل كتب القتل إلا على الرجال
كل ما أخشاه هو أن تكون هذه الفاجعة وقودا للدسائس الأجنبية » .
وقد وقع ما كان يخشاه « زكي مبارك » فقد أحدثت الأقلام في « مصر »
تثار حول الحادث وزيد منه الخلاف وعندما وصل إلى « القاهرة »
وجد الصحفيين يوقدون النار حرابا ، فصمم على قهرهم ومن تعليقاته
الطريفة على أحد الصحفيين

« وتذكر بأنه يؤدي مهمة صحفية ، والصحفيون يؤدون السلام

لأنه يظل عند الفرد على واجهه عمر ميت أن يصرخ ويستغيث ليزيد عند الفرد الله أو النبي! ولكن الويل في قاعة بغداد [illegible] أمين [illegible] «مصر» و «العراق».

ثم مضى هذا الكاتب أحمد [illegible] الكاتب الكاظمي هذا الموضوع الاجتماعي [illegible] إلا [illegible] ثم أخذ [illegible] كبار الشخصيات، ويشرح لهم ظروف الحادث [illegible] عندما وجد أكثر هؤلاء قد اقتنعوا بالأخبار [illegible] كل [illegible] وجمع البلاغ وكل أعضائه.

أخذ [illegible] مجلته [illegible] من «العراق»، حتى [illegible] واتهموه بأنه يدافع عن «العراق» [illegible] ليحفظ وظيفته في «العراق»، بينما [illegible] عن عدم مواصلة العمل على [illegible] الحادث، وقبل أن يشرع في الدفاع عن سمعة «العراق».

وبعد [illegible] بينه وبين أصحاب [illegible] تلك الحملة [illegible] حتى [illegible] في هذه [illegible] تقريبا. واستطاع هذا الأديب أن [illegible] واستطاع هذا الأديب أن [illegible] أوجه القول، [illegible] لأنه [illegible] الإصلاح [illegible]

واستطاع هذا الأديب أن يرد كيد [illegible] الذين [illegible] أعمالهم عند وقوع الحادث [illegible] الأسود

وليس هذا فقط ، بل معنى جد « زكي » العراقي بكل خير ويصدر عنه أعداداً خاصة في « مجلة الرسالة » ، عن الأدب العربي الحديث في « العراق » ، و« الأدباء الأدبية في العراق » ، و« الصحافة العراقية » ، و« التعليم في العراق » ، و« التعاون بين « مصر » و « العراق » .

ولم ينس العراقيون هذه اليد البيضاء من صديق « العراق » « زكي مبارك » ، بل أخذوا يتحدثون عنه في مجالسهم ويتذكرون في ذلك مراتب الجهد الذي يصدر عنه أصحاب الرجال .

ثم تمر الأيام و« زكي مبارك » يألو على الجهد بحب العراق ، وبحبه أهل « العراق » ، وبعد مضي سنتين ، أي في سبتمبر ١٩٤٠ ، تلقى برقية من صديقه « السيد عبد القادر أحمد » يهنئه بوسام « الرافدين » الذي منحته الحكومة العراقية له ، وذلك على جهوده الجليلة التي بذلها عند ما كان في « العراق » ، وجهوده الجبارة التي بذلها للدفاع عن « العراق » في ساحة « كلية الحقوق » ، والجهود المشكورة التي بذلها بعد ذلك في كتاباته عن « العراق » و« أدب العراق » في « صحف مصر » .

وسمعت « الصحافة العراقية » بي لتكرمه ، فأصدرت « جريدة البلاد » عدداً خاصاً عن « زكي مبارك صديق العراق » ، كتب فيه السادة « عبد المجيد حسن العراقي » و « حميد مجيد الهلالي » و « عبد المجيد لطفي » و « عبد المحسن التميمي » و « عبد السلام حلمي » و « عبد الرحمن البناء »

و «ميزان» هو بغداد، و «صالح القصري» و «عبد الرزاق الهلالي».

وقد عناه الشاعر المصري «محمد عباس حمودي» بقصيدة منتقيا منها

هـــذه الأبيات:

إن الرسام الذي أهديته تحفة — الرافدين وحق غير مهضوم

صفوة الله في الأقطار يصنعها — صاح بالحب ما بين الأقاليم

فانهض «ميرك» فالعمل بلا زمن — ما كان حتسم الجل مهزوم

أما عن اثنا تقبل الرسام لمقامات الأدباء في «العراق» بالشكر، وقد علق على هذا التقدير قائلا:

«وقد فكرت كثيرا في الأسباب التي جعلته في هذا الحظ المرموق في «العراق». ثم وجدت أن الأسباب كلها تنتهي إلى سبب واحد وهو الصدق. فما عدت من «العراق» بالجميل، إلا رأيا صادقا، ولا ذكرته بالكلام إلا رأيا صادقا، وإذا قيل إن «العراق» يعربي وقد بررته وإخلاصا بإخلاص، فأنا أقول إنني سأبقى مدى حياتي كله مدينا للعراق، ولن أستطيع أن أجازي العراق في حق من حقوقه، ولو بقيت ذلك العمر في حب العراق، ومن أهل «العراق».»

هذه صفحة «بكي ساراك» و«العراق» أو غير ذلك إلينا الكلام إعجاز ... أردنا تسجيلها تنبئ عن الترحيب الصادق بهذا الفنان العصامي.

# كتاب عبقرية الشريف الرضي

هذا الكتاب هو «عبقرية الشريف الرضي» للكاتب «زكي مبارك» ، في
جزأين ، يقول فيه [illegible] إنه ألفه [illegible] في التأييد [illegible] ، ما جعل
الناس يحسون في متابعة حركة الشاعر حتى النهاية [illegible] «الشريف الرضي»
ليس غريبا عن «زكي مبارك» ، وهو لم يكن أول معرفته به [illegible] ذهب إلى
[illegible] ، ولكن حتى اتصاله [illegible] أستاذه [illegible]
كان معجبا به ، وحفظ شعره [illegible] ، وكان يجد في شعره [illegible]
[illegible] ، ويجد في [illegible] الإخاء والنسيم ، ويجد في [illegible] والكرامة

وعندما طلب منه «نادي الموظفين» بالقاهرة إلقاء محاضرة عن أعظم
شاعر في اللغة العربية سنة ١٩٣٧ ، كانت محاضرته عن «الشريف الرضي»
وعندما كتب الدكتور «طه حسين» عن شعراء القرن الثالث ، انتقد
«زكي مبارك» بكثرة الكتابة عن «الشريف الرضي» ، لأنه أول من
[illegible] الشعراء [illegible] الأستاذ [illegible] كتابه عن
«ابن الرومي» [illegible] ، لكن الأفضل [illegible] الجهد في
دراسة شعر «الشريف الرضي» .

وقد اطلع [illegible] ، وعرف [illegible] على كتاب «أمراء الشعر في العصر

العباسي » و « الأخطل الصغير » وآراءهم تكثير من الشعر لديهم : « أبو الشاعرة » ، و « الرضي » ، مع أن ديوان « أبي الشاعرة » لا يساوي قصيدة واحدة من قصائد « الشريف » ، كما هو ... وجد الفرصة سانحة لإنصافه بعد الظلم الذي تعرض له منذ زمن طويل .

والذي جعل « زكي مبارك » يضطرب غاية الاضطراب ، هو سكوت النقاد عن أشعار « الشريف » ، وعدم اهتمام أصحاب المختارات بإصدار كتاب عنه ، بل أكثر من ذلك رأى بعض أساتذة الأدب في مصر يجهلون أشعار « الرضي » ، من ذلك أن الأستاذ الشاعر « علي الجارم » سأله عن مصدر الذي يجد أن هذه الأبيات من « الشريف » :

ولقد وقفت على ديارهم    وطلولها بيد البلى نهب
فبكيت حتى ضج من لغب    نضوي ولج بعذلي الركب
وتلفتت عيني فمذ خفيت    عني الطلول تلفت القلب

سأله عن مصدر هذه الأبيات ، وأكد أنه لم يجدها في ديوان « الشريف الرضي » ، مع أنها ثابتة في الديوان بشرحه

« وكان ذلك دليلاً على أن « الشريف » منسي لا يعرف ديوانه رجل في منزلة « الجارم » ، وهو شاعر مجيد » (١)

وهو لا ينكر أن « الشريف » غير معروف في اللغة العربية ، وأن اسمه يتردد في الثقافة الأوربية ، ولكنه يرجع سبب شهرته إلى الباحثين

اثنين الأول عامل سياسي وهو ما صرح به الشريف الرضي في شعره
على ذلك هذه الأبيات

ما مقامي على الهوان وعندي … مقول صارم وأنف حمي
وإباء محلق بي عن الضيم … كما راغ طائر وحشي
ألبس الذل في ديار الأعادي … وبمصر الخليفة العلوي
[illegible] على جلده الحر [illegible] … وأوري جلاله [illegible]

والعامل الثاني — الذي نعتقد بأهميته هو: كتاب نهج البلاغة، فالذي جمع فيه كلام أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب، فاتهمه [illegible]، واعتبره بعض الباحثين من تأليف «الرضي»، وأكد غيرهم من الباحثين أن نصا الكتاب هو «للإمام علي» بدون شك، ولكل من الفريقين أدلة وبراهين

ولن نعرض هنا لرأي الفريقين [illegible] مستقل برأي، ذلك حاولنا، [illegible] لأن رأيا لم [illegible] من [illegible] للأدب العربي والبحث العلمي، ولذلك [illegible] كل من الفريقين

[illegible] في فضل المؤلف، ولولاها لما وردت في كتب الأدب القديم، ولولاها لكان [illegible] في علم الأدب وتاريخ الأدب أمرا عجيبا [illegible] لا [illegible]، [illegible] يجب أن يذكر بالعز والفخار، وليس في هذا الكلام غرابة

في ميالته ، وأقرب دليل ملموس بالنسبة إلينا هو « زكي مبارك » نفسه ، هذا الرجل الذي نتحدث عنه فهو بالرغم من الدوي الهائل الذي أحدثه في عالم الأدب لم يجد من ينصفه بعد أن طواه الردى وكان فارس الميدان الأول وكانت أخباره على كل لسان . أما الآن فقد نسي ولم يعد يذكره أحد

وكتاب « زكي مبارك » عن الشريف جعل الباحثين العرب يتعرفون به ، ويعترفون بأخطار موسيقاه ، والمعاصرون أكبروا بعد كتاب « عبقرية الشريف الرضي » وأفضل السباق والد السابق لقراءة من تذكره الأدباء عن الشريف فنال.

« أليس من العجيب ألا يعرف غير « الشريف الرضي » في العراق ، فيقام له ضريح في « الكاظمية » مع أن مترجميه ينصون على أنه دفن في « كربلاء » ؟ . أليس من العجيب أن يطبع ديوان « الشريف » منذ الثلاثين سنة (كان هذا الكلام في سنة ١٩٣٨ م) في بيروت غير مشكول ، ثم لا يعاد طبعه بعد ذلك مطبوعاً ؟ ... وهل كان ديوان « الشريف الرضي » في منة المنسيين في الإهمال أو الآثار تستعصي على مرونات المستعلمين ، والمسه له عبرات المثايل .

ولقد أصبح المؤلف مالك الشريف الرضي وكل الإسلاف دكتور من ثقاة ومؤلفيه في شعر القرن الرابع ، وصلاته بالعقائد بين العباس وعلاقته بالوزراء والملوك

ويتكلم عن أعوام البؤس في حياته ، ويفرد فصلا خاصا عن الغلاء والسلب
في مصر ، وفصلا آخر عن مكانته في الكتابة والأدب . وفي الجزء الثاني
يتكلم عن وفاته وعن أبنائه وعقائده ومجازاته ، ويعرض لذكر مكانة الشباب
في أشعاره ورسائله وموضوعات أخرى لها مكانتها وطريقتها في البحث
طريقة طريفة غير مألوفة

« ما يريده الشريف هو سيرة الصديق للصديق ، فمن آمن أنه من
كان كالشريف إن جمعه بالشريف جامعة ، ومن نسب نفسه إلى خلق
الشريف عقله ، ومن حن جانبه إلى آل الشريف ، إن غاية الرجل
العظيم في الحرب ، فلتعد مع عمه ، ومن قال إن الحياة هي نصيب الخلد
والحب الخالد » .

ولكني مع هذا عاملت سيرة الصديق الأمين ، فنبهته إلى عيوبه
بلطف ورفق ، ثم تبينت شيئا قليلا جدا لا يستطيع إليه إلا الذكي
بيده إلى عيوبه أكثر من عشرين مرة ، وما أظنه يعتمد على ، لأن الصديق
الذي في مثل خلق الشريف جميع العيوب . . .

وللدكتور زكي مبارك رأي خاص في كتاب « نهج البلاغة » أثبته في الجزء
الأول من كتابه عبقرية الشريف الرضي ، تقبله باستعمار

« الشريف على أمير المؤمنين أمر واقع ، والمتصل به منهم ، ولكن
المشكلة هي وضع « نهج البلاغة » في موضعه الصحيح

خطبتان في هذا المقام فكان الأول ـ عبقرية علي بن أبي طالب ـ عبقريته الخطابية والإنشائية ، والثاني ـ عبقرية الشريف الرضي ـ

كان علي خطيبا مفوّها ، وكان كاتبا عبقريا فأين ذهبت آثاره في الخطابة والإنشاء ؟ ، وهل يعقل أن تضيع آثاره ، وهو [illegible] يحفظون كل ما ينسب إليه ؟

هل يعقل أن يحفظ الناس أشعار الجاهليين والمخضرمين من أهل العصر الأموي ويضيع آثار خطيب [illegible] من أجلاء العرب ؟

وأين العقل الذي يقبل الفرض بأن عليا لم يعرف بيانه إلا في الأجيال [illegible] ؟ .

أما عبقرية الشريف الرضي فهو عندي فوق الشبهات ، وهو في [illegible] لا الادعاء ، فإن كان قد جمع آثار علي بن أبي طالب [illegible] لمذهب التشيع [illegible] ذلك ، ولكنا [illegible] بأسلوب [illegible] عن إيراد آثار [illegible] ،

[illegible] الأصل والإسناد ، ومن كان مثل ذلك الرجل لا [illegible] على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، [illegible] شرح كتاب نهج البلاغة ، [illegible] الأزهري

عند غضب ، ولكن أي نفسه أول من جمع هذه الآراء عنه

أما الآخرون فأنهم يعرضون «نهج البلاغة» لمصنفات سيدنا أمير المؤمنين في كل ما نسب إليه ، ظنها الوضع ، وهو لم يتحرجوا الشك فيه ولكني أقول بأن آثار علي بن أبي طالب ، لم يحفظ كل ما تعرض له سائر الآثار الأدبية والسياسية والدينية ، ثم أعود بأن ما جاء به الشريف ، لم يجمع من عنده وربما وقع في جمل كما تعرضت له سائر الآثار من الاختلاف. أما اتهامه بالكذب على أمير المؤمنين في سبيل النزعة المذهبية فهو اتهام مردود ولا يقبله إلا من يجهل أخلاق الشريف ،

ومهما يكن حال «نهج البلاغة» فهو ذو قيمة أدبية وتاريخية وسياسية جليلة الأخطار ، ومن كذلك ثروة أدبية ومصورة لتاريخ العقلي لذلك العهد وهو أيضا يصور ما عند العرب من أصول السياسة والنظام وتدبير الملك في أعقاب عصر النبوة ، وفي جميع الأحوال فهو عدة لطلاب الشريف ، في اللغة والأدب والسياسة والأخلاق

وإني لأجد أن أنظر في كتاب «نهج البلاغة» يورثه الرجولة

---

(١) [illegible]

[illegible]

وألفاظه وتخلده النفس لأنه فيض من روح قوي، وواجه المصاعب بعزائم الأسود

وهناك شعبة ثانية أطلقها كتاب «شرح نهج البلاغة» فقد ثار زوبعة حينما طرحها الإمام والمحيي، الإكبرون «شرح ابن أبي الحديد». إن هذا الشرح مصدر من مصادر اللغة العربية، فيه فوائد أدبية ولغوية وتاريخية وفلسفية، لا يستغني عنه إلا القاصرون عن ما حبانا الأدبي والمعنى من أطايب ونفائس وآيات.

هذا هو رأي د. زكي مبارك، شهادة مختصرة، وهو لا يرى القارئ نموذج من البحث العلمي الذي يعتمد على الإخلاص والصدق، فهو يلقى أن نهج البلاغة من كلام الإمام علي، وأن الشريف جامع الكتاب لا يسمح أن يكذب الحديث بالتوجه على أمير المؤمنين، ويرى من جانب آخر أن الكتاب فيه بعض خطب وتعبيرات يحتمل أن تكون قد دخلت على الكتاب قبل عصر الشريف.

ولقد كان جديرا برأيه هذا جدير بالعناية لأنه رأي الأستاذ المتحرر من التعصب والعصبيات التي انصبت على كتاب نهج البلاغة، إذ يوصل ذلك عند الطريق العلمي الأمين الذي يتعرض لهذا الكتاب بالنقد والتحليل ولكنه يكتفي بالإشارة إلى تلك الزيادات دون ذكر نماذج منها، وهذه هي الناحية التي ينقصها هذا البحث

# الناقد الشاعر

إذا ذكر النقد الحديث في الأدب العربي وإذا ذكر النقاد العربيون فأ... زكي مبارك، يذكر مع النقد والنقاد بكل فخر؛ فقد ظل في ميادين النقد في اللغة العربية أكثر من ثلاثين سنة كان فيها الفارس الأصيل بين فرسان النقد، وكان جريئا ينزل إلى الميدان بكل شجاعة، فيصاول أهل الفكر وكبار الأدباء الأعلام، وفيهم كثير من أساتذته، ليفرض عليهم أخلاقيات المناقشة حتى يرغمهم على الاحترام. ولم يكن يكتفي بمقالة أو مقالتين في معركة من المعارك، بل كان يدبج المقالات الطوال، وكل مقال يختلف عن الآخر كما رأينا في نقده الذي هاجم به الأستاذ أحمد أمين في «مجلة الرسالة».

ونقده ليس جرما صرفا يسببه للقارئ، وإنما يتخلله الكثير من الملح والفكاهات والنوادر التي تؤنس القارئ خلال سلسلة مقالاته في النقد، ولا شك أنه أراد أن يقطع سلسلة نقده عن الأستاذ أحمد أمين، فالقارئ أحمد الشايب مثلا في الرسالة يرجوه ألا يسمح ... عن مواصلة النقد.

وقد رأينا كيف هاجم أساتذته في «السوربون» وظاهر به ... تكريما، ورأينا كيف هاجم أستاذه الكبير «طه حسين» في عقر داره، وفي أطروحته أمام أساتذة «السوربون»، وكل ذلك ...

وكانت له طريقة فريدة في نقد الأدب والكلام لا يجاريه فيها أديب آخر ... فقد أفادت منه القراء فائدة كبيرة لأنه رسم لهم الطريق ووضعه أمامهم ونبههم في دروسهم الشجاعة والإقدام فكانوا يتلقون ما ينشره عليهم من النقد بشوق ولهفة، ويتبعون معاركه الأدبية بكثير من الاهتمام والتقدير. ويقرب الأستاذ محمد رجب البيومي في مقال له بالعدد الممتاز من «الرسالة» في عامها العشرين وذلك قبل موت «زكي مبارك» بأسابيع.

«ولا أذكر أن كتاب «النثر الفني» أكثر مصادفتنا في فترة الدراسة الثانوية كما أعجب الدكتور «زكي مبارك»، فقد وقف في ميدان «الرسالة» كما يقف المذكر في ميدان الرياضة، يصارع هذا في صف، ويناوش ذاك في صف، يقود الآن الأول من أصدقائه شيئة عالية، ويكاد يصيب بسلامته وأناقته ويكاد يرى في النهاية صافي جمال في أروع شامل!».

وهذا النقد نفسه هو الذي جعله يفقد أصدقاءه الواحد بعد الآخر، وذلك لأنه لم يكن يجامل أصدقاءه ولا الزملاء، بل كان كثيرا ما يصدمهم برأي فيه ما يدعو إلى النفور منه وبغضه. ثم تنشأ خلافات المساجلات أو المعارك عن المنشور في نقد الكتاب بالصورة التي يريدها أو بالصورة التي يراها صحيحة للقراء الذين ينتظرون منه فقرات وآراء.

[illegible]

العصب في كثير من الأمور والتعصب على هذا الأديب ، الذي لا يرى له [illegible] يتحدثون من حوله ، وهو مستغرب من [illegible] وعجبهم ، كأنه في غفلة من [illegible] الأديب ليس به [illegible] ولا [illegible]

وله صاحب [illegible] ، فإذا [illegible] الدكتور ، [illegible] أصدقائه [illegible] من الأصدقاء ، [illegible] في العراق ، أن كاتب [illegible] في مجلة الرسالة ، فقال

« يرحم الله الأيام الماضية ، حين كان الأديب [illegible] في طريق ، [illegible] السلاح ، [illegible] الكاتب والشعر [illegible] »

« إن الذين [illegible] لا [illegible] ما يصنعون [illegible] أنهم لا يعرفون أن [illegible] من [illegible] الطبيب [illegible] أن [illegible] الطبيب [illegible] [illegible] ولا ثواب

[illegible] - وكلف ربما [illegible] الأدبية [illegible] [illegible] لا [illegible] [illegible] من [illegible] والأخضر واليابس والحيوان .

وقد كان يقول حافظ عن [illegible] انتقاد [illegible] في العربية [illegible] وصفه
يحسب إليها الأول للقراء في ذلك أنه رأى أربعة من الأحياء يخطرونه في
« مربعة البلاغ » . وهو عاتبهم بجواب ، فصرح لكم أيها [illegible] ، وذلك
بالإيحاء عند الصواب من « القرآن الكريم » [illegible] من قصيدة صاحب الجبال

لهذا إنه كان يفقد أصدقاء بسبب ما يكتبه بعضهم في [illegible] الخلق ، ومن
هؤلاء الشاعر « أحمد شوقي » ، فقد طلب منه أن يكتب مقدمة لديوان
« الشوقيات » ولبى في بادئ الأمر ، إلا أنه عاد فتذكر أن تلك المقدمة
ستفرض عليه شيئاً من المجاملة [illegible] في الشعر في المستقبل ، فامتنع
من كتابة المقدمة ، واعتذر له بعد أن بين له هذا السبب ، فغضب « شوقي »
وقاطع صديقه « زكي مبارك » الذي أبدى رأيه بصراحة

وفي كتاب « [illegible] الشعراء » لزكي مبارك « مدح فائق » لشوقي
وشعره . ويقول الأستاذ « محمد رجب البيومي » في تعليق عن المدح إنه
« شوقي » كان يستحق عليه من [illegible] ، [illegible] « زكي مبارك »
نفسه ، [illegible] أحد [illegible] إلا [illegible]
« شوقي » الغالية

ومما لا [illegible] من [illegible] « شوقي » [illegible]
[illegible] « زكي مبارك » من [illegible] « شوقي »
[illegible] ، [illegible]

جوائز من الشعر ، إلى أراد الحسه الموسيقيه ، ومن « ديوان البحتري »
و « ديوان الشريف الرضي » و « ديوان شوقي » . ومن المعلوم أن ديوان
« أغاني الكوخ » صدر في سنة ١٩٤٧م أي منذ ثلاث عشرة أو خمس عشرة
سنة . ومعنى هذا أنه صاحب الشعر « الخول » قبل الانقلاب ، قبل أن يتدفق
عليه طوفان من نعمه كما يقول الأستاذ « البهي » .

ويحرص على الأدباء المعاصرين ، والنقاد منهم في معركة أدبية حامية
وثورته على الحكام ثم يخرج ويحرك . جعل بعض النقاد يقدرون كلامه
طريقة عنه ، كمقاله المكالمة التي كتبها الأستاذ « عبد الله حبيب »
ومن قوله :

« وصاحبنا ـ صبح الله له ـ كأنه عائل يعيش في الأمل ، أو هو كالسيدة
الصحيحة التي لا تدري ما يحدث من حولها ثم تريد ما تريد حتى أن سطر
لابد له من مسافة يتمها !! وليس في استطاعة كاتب أن يحصي في
مثل هذه الصورة الرسمية كل أعماله

كل ذلك يتم في مصر ، ثم لا أحد يتكلم ما من حكم مالها مثقالة تفكر
في سن تشريع جديد يحمي الناس من مثل هذه الفروسية العنيفة ولم
لا يكون في مصر ما دام حيا ، وكل مبادئك نظام مهذب للكتاب
والمؤلفين ؟ تحمي الحكومة رجالها من المكروه يحترمون حفظ
نظامهم ويحترمون بأشرافهم مثل هذه الصدامات التي يعملها ومن

[illegible] في [illegible] الأيام) وعلى [illegible]
على [illegible] الناس كل يوم [illegible] ،
[illegible] على [illegible] ؟ .

فلما جاء الكلام من خلال [illegible] ، [illegible] ، [illegible]
[illegible] الكتاب [illegible]
[illegible] على أفكار [illegible]
[illegible] الأستاذ [illegible] ، إلا [illegible]
[illegible] لا [illegible] على [illegible] الكريم

[illegible] ، هذا [illegible]
[illegible] الأديب [illegible] الصريح ، [illegible]
[illegible]
[illegible] الرسالة ، [illegible] الأستاذ [illegible] ،
[illegible] في الرسالة [illegible] القرآن الكريم في كتاب
[illegible] ،
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

«الرسالة» بعد سنة ١٩٣٩ م . ولعل القراء الذين كانوا يتتبعون المعارك الفكرية في الأدب يذكرون ذلك ، ويعلمون أنه يستنكر أن ينشر «الزيات» تلك المقالات للأستاذ «السمراوي» . ظل في غضب من «الزيات» ، يرد إلى بعض من «الرسالة» ، فامتنع عن الكتابة في مجلة الرسالة منذ ذلك الوقت .

امتنع عن الكتابة في الرسالة بالتصريح ، حتى إن أكثر القراء لم يعرفوا سبب القطيعة ، وإن كانوا يدركون أنه متضايق من «الأستاذ الزيات» ؛ لنشره مقالات «السمراوي» ؛ لأنه نشر مقالا عنوانه : «في كل يوم لنا مطلب جديد» ، عاتب فيه «الزيات» ، وحمل فيه على «السمراوي» ، ونشر بعد ذلك مقالا آخر هاجم فيه «السمراوي» أيضا .

وأخذ يرد بحماس الأستاذ «عربي» عنيفا ، من جهة أخرى ، حرب «ومصطفى الرجوي» في كتاب «التصوف الإسلامي» .

ونشر مقالا طائفيا في «الرسالة» ، ورأى فيه «السمراوي» ملاحظة تتصل بالقرآن ، فهجم عليه من جديد في «الرسالة» فرد «زكي مبارك» ورد «السمراوي» ، وهذه الردود الأخيرة بعيدا عن النقد الصحيح كل البعد ، فكل منهما أخذ يهاجم صاحبه بعيدا عن الإنصاف ، فتسلل فيه عبارات قاسية ، وكلمات نابية . وقد كان رد «السمراوي» في آخر عدد من أعداد «الرسالة» سنة ١٩٤٤ م ، وقد كان «زكي مبارك» تحت قلمه في نفس العدد عنوان : «عوامل يوم الثلاثاء» بعد أن تعرض لغضب في هذا الشأن

ولم ينشر «زكي مبارك» في الرسالة بعد هذه القصيدة إلا شيئاً يسيراً في أبريل سنة ١٩٤٥ م بعنوان «غريب ومحزون» وهي عبارة عن كلمة يصف الضابط في إحدى المستشفيات التي تطلب وحدى بدموعي الغزيرة ، وبعد هذه الكلمة لم ينشر شيئاً في الرسالة حتى وفاته

وانقطاع «زكي مبارك» عن «الرسالة» عبارة عن مأساة نفسية أصابته بعد مقالات «الشيرازي» ، لأننا إذا علمنا أن عمله في «الرسالة» في مدى سبع سنوات التي يجود مكافأة مالية ، وكان يعتبر ذلك العمل خدمة وطنية لا يتقاضى عليها أجراً . وكان يعتقد في نفسه — كما يعتقد القراء — أن نجاح «الرسالة» ذلك النجاح الباهر في تلك الفترة كان له فيه أكبر نصيب

وإذا كان انقطاعه عن «الرسالة» خسارة للأدب فهو بعد أن كان ينطلق في آرائه في «الرسالة» رأيناه يكتب في صحف أخرى ، كالبلاغ تذكرها كتاباته الرصينة الساخرة ولكن في صحف الأخبار ومجلات السينما

وكان يكتب في الرسالة ؛ كتابات مستمرة إلى جانب المقال الطويل وهي «الكتاب الشهير» وهي سلسلة أحاديث بينه «الأستاذ الزيات» و«الأديب المعروف» وكان يقصد منها «أستاذ» الشاعر المعروف

# ثورة على الأوضاع

كان «زكي مبارك» يعتبر نفسه مثالاً لهذه الكلمة من معنى، وصراحته أمثلة من تلك الصراحة التي من بين الصفوف، وعاش في عهد الفصل الظاهر أحياناً أخرى من صراحته، وهي صراحة في الأدب الأرجاع قصداً، التي كانت سائدة في ذلك الوقت.

نشر في إحدى الساعات «مجلة الرسالة» نقداً لخطاب العرش، فتحت لها رئيس الوزراء السيد «علي ماهر»، واطلع عليه كأنه الحكومة في «مجلة الرسالة»، شارح «الوزارات» نفسه الموقف، ولكن رئيس الوزراء قال: «أنا لا أحب أن أضيع اسمي بذكر مبارك»، لقد اشترك ساعات في تحرير خطاب العرش، ومع ذلك يريد أن أكتب كما يكتب الصحفي.

وحاول «مستر لويد» إجباره على الاعتذار في «الرسالة»، ووضع الجميع أمامه فأصر على رأيه، «إني لا أعتذر عن مقال كتبته وأنا أعتقد أنه حق، ومن الحرج أن يصبح ... الجريدة ... يكون ... كبير ...».

وقد كتب في إحدى ... خطاب العرش:

كأوى ، الأستاذ الكبير الدكتور زكي مبارك ، فوجد الأمر خطيراً ، وأثار أحد النواب بعض ملاحظات الناقد في مجلس النواب .. فطار صوت الأمور جنون زكي مبارك ، ووجه سهام نقده إلى وزير المعارف ، ولكن الوزير لم يستطع منعه من التفتيش خوفاً من إثارة الموضوع في الجرائد اليومية .

وفي سنة ١٩٤٦ م ، قام طلبة الجامعة على رئيس الوزراء ، النقراشي باشا ، البوليس ، بإطلاق الرصاص عليهم وعلى أحد الجسور ، فألقى الطلبة بأنفسهم في مياه النيل هرباً من جحيم المباحث ، وغرق من لا يحصيهم ، وقد نشرت الصحف أن خمساً وعشرين جثة في القناطر الخيرية هي الجثث التي لم يعثر عليها ، فثار مع الشعب وهو الأديب الحساس ، واستنكر هذا المصرع الفاجع على أبناء الجامعة ، ونظم قصيدة طويلة جاء فيها

يا راجعين على الفيضان في صخب ... كأنكم في عباب مضطرب مرسل
يا من ضربتم بها وجداً ومرحمة ... إلى مصدر اللهيب الغض في زمل
طرتم إليهم سراعاً في براكبكم ... والسيف في يدكم جرحان طفلان

جنود عن شباب المجد هادرا ... حسام اللفظ بالمعنى الصحيح
تكاتب جرائمهم علناً وقتلا ... والشرعية بالوجه جسر جروح
شابت من شعب المجد جاهرة ... إلا إلى المرتقى المطمح

لا ناس لا تأسى إن المجد صورته ... في أنفس المجد أخطار وأهوال

يا ظبيين [illegible] [illegible] ملجئي في القلب ملاح [illegible]
لا [illegible] أنكم [illegible] [illegible] [illegible] با الأحمد [illegible]

ومضى في إحدى مقالاته يحبب الشباب للتقدم ، ويحثّ [illegible]
ليه ما وصل إليه الغرب من تحرير فقال

« المنزل حق هذا الجمهور من الغربيين [illegible] من الرياضة ، الذين
لا يأسون على [illegible] ، ولا يسلمون الأعمال إلا لكل قادر [illegible] لا [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] . أنتم [illegible] يقول [illegible] . أين أين الرياضي
[illegible] [illegible] [illegible] النفس ، وقرة [illegible] [illegible] [illegible] .
أين أين الرياضي الذي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الرجل [illegible]
البلاد [illegible] بالخروج من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
والاستقلال والتكبر ؟ لأنه لا ينشط المصري إلا [illegible] [illegible] [illegible]
ولا يجد من مجد الثريا ، وقرة النفس ما يطمع به علية الطامعين ؟

ونتيجة هذا أن أصبح الشبان يرون أن صلاح المرء والعمل والجد
والشجاعة صلاح [illegible] وأن [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] ..
[illegible] في كتاب [illegible] ، [illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] الثقافة المصرية ،
[illegible] [illegible] [illegible] على الثقافة المصرية [illegible] من اللغة العربية [illegible]
على [illegible] إلى [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الاختيار [illegible]
إلى [illegible] بالنهضة المصرية ، [illegible] على [illegible] [illegible]

، ونوعيته في اللغة العربية حتى تساير الدول الأجنبية [illegible] بمدارسهم ليس بالطريق إلى أهدافهم ، [illegible] [illegible] [illegible] الحكومة المصرية [illegible] [illegible] الرغبة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أن حكومة [illegible] [illegible] الأجنبية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أن تعرب [illegible] [illegible] إلى اللغة العربية .

وهكذا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الحكومة في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ورعاية اللغة العربية من الأجانب [illegible] في مصر ، [illegible] [illegible] في ذلك .

وعلى الحكومة أن تشترط احترام اللغة العربية في تلك المدارس ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المصرية ، وعليها أن [illegible] أن يدرس التاريخ [illegible] [illegible] من [illegible] الثقافة [illegible] العربية . أن لم [illegible] الحكومة ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الثقافة المصرية وأن يكون [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] أمر [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] الاحتلال .

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الاحتلال [illegible] [illegible] [illegible] الحكومة [illegible] [illegible] الاحتلال [illegible] [illegible] بالاحتلال [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

في عهد الفراعنة ، مضروب في الاحتفال غدا جملة تلك فالنيل ثم الله ، ويحضر هذا الاحتفال كاتب مصر ، وكيل مبارك ، ورئيس المحكمة الكبرى للأوقاف والمحاكم الشرعية ، ثم تطلق المدافع الحربية في الضحى بإطلاق مخصب النيل ، أمور أعجب من العجب والنيل بهذه البلاد الخضراء ويجمع ذلك يقام له احتفال تقام فيه المكرمات أرباب المناصب .

ويجري في ذلك قوله :

| | |
|---|---|
| أتبع يا كل المحيطات أكلا | يقوم لصحب البلا مطلب |
| وقاضي الشرع يحضر في جمع | كتاب عصمه محفل غريب |
| حر الأمير عليهات وحسبه | من الآثار هدام مركبه عجيب |

وعندما كان في العراق التي عطا من مكتبة الآداب ، الجمعية المصرية جاء فيه : أن دار الكتب المصرية ، أرسلت منه هدية الأوائل إلى جميع في المرسلة البالية الجمعية المصرية ، وزجر من الطالب زادنا من جسم وعنوان من وكله يحصر في مستلزم الكتب الموجودة في الكتاب ، .

وكانت الهدية نسخة من ديوان مهيار ، ونسخة من ديوان آخر ويشتمل على هذه الهدية قائلا

« ولكن أن تتصوروا مبلغ فرحي بهذه الهدية حين تعرفون أن لي أعلاما عن أشعر شعراء القدماء ، لم يرد مؤلفا منه أكثر من عشرين سنة فلم يبق إلا أن يصير نسخة من كتاب القرية الرشيقة »

وهذه الصراحة جعلته مضرب الأمثال ، وقد حياه الأستاذ محمد عبد الغني حسن ، بقصيدة طيبة بمناسبة ظهور كتابه عن « عمر بن الخطاب » يقول فيها :

رعرعت فيك من الصراحة موضعا | حفظ المنافق منه كان جديبا
ربى بأسنة القتال كأنه | ترى شواها أو تعيب طبيبا
ودعوك في تلك الصراحة مفتيا | ورأوك فيها « ركنا » صحيبا
ما النقد والإصلاح إلا مرآة | لم تضع ما لم تكن تجريبا ؟ ..

# تقدمة

إن «زكي مبارك» نسيج وحده في أدباء العرب المعاصرين، له أسلوب خاص في الكتابة، ومن أهم عيوب هذا الأسلوب اعتماده على نفسه ولا يخلو مقال من مقالاته من الثناء، ولا يهاجم أديبا إلا فضل نفسه عليه حتى أصبح معروفا عند جميع القراء أن «زكي مبارك» كثير الثناء على نفسه حتى رأينا من يعرفه أنه لا يقرأ كتبه بسبب هذا الثناء والإعلان عن نفسه، وربما لا تخلو هذه الحال من مبالغة وتسرع، لأن الإنسان الذي يريد أن يكون رأيا عن أديب من الأدباء، يجب أن يقرأ كتبه ليرى ما عنده من جمال، وبعد ذلك له مطلق الحرية في الحكم له أو عليه. أما أن ينصرف عن هذا الأديب لأنه معجب بنفسه، فذلك ما لا يتفق والروح الأدبية، التي يجب أن يتحلى بها كل طالب معرفة، وأساسه البحث العلمي الصحيح.

وزكي مبارك لم يثن على نفسه إلا حينما رأى أنه لم يثن على نفسه أحد، وإنما حق ... والأدباء الذين يحسدونه هم بالحقد لأنهم يشيدون بالاطلاع والفهم العميق، وكان التجديد في الكتابة تجديدا في ميدان الأدب لم يسبقه إليه سابق. من ذلك أن «الأستاذ محمود تيمور» نشر في «الرسالة» مقالا موجها إليه يقول فيه

فأحس أن جزءاً من قسوته على صفحات «الرسالة» عندئذ هي بالصراحة التي نعدها من أهم مقوماته عند زكي مبارك، كما يعرفه من زكي مبارك شاعر حاك ومحيطه في الحياة الأدبية التي منعته أنك سيجني فيها منافسة، فأنت أجدر من يتحدث عن مزايا الفارس »

والقراء قبل أن يعرفوا زكي مبارك، هذا الأسلوب الجديد كانوا يرون الشعراء يتعففون عن أنفسهم أو يحاولون في جهدهم كل الجهد وكانوا يعدون أنفسهم من نصيب لم يرأ منه — ولعل أقرب إلى مدح أنفسهم قليلون — والقواعد كثيرة لها بعد العرب، ومن يتصفح دواوين الشعراء يجد مصداقاً لهذا الكلام !

وحينما طلع عليهم زكي مبارك بأسلوبه المبتكر، سروا به وأعجبوا بحديثاً يلهم به القراء وجدوا أديباً لا يقول عن نفسه إلا ما يرى أنه يأخذ نفسه بجلبة، ويتحدث عن نفسه إلى صديقه القارئون ويقبل كثير القراء بتلك الصفحات الحرية ولا تخلو إحداها من مدح أو نقد

ومعنا لا يعني أنه لم يبالغ في الحديث عن نفسه في بعض الأحيان وخاصة في أيامه الأخيرة كما رأيناه وتحدثنا في دروس أعتاب الخلود، ولكنه مع هذا قد كان ذلك مقبولاً لدى القراء وكانوا يرون فيه عظمة جديدة يستحق التقدير والإعجاب

ويعترضنا في هذا البحث مشكلة وهي أن الشعراء إذا مدحوا من أو هجوا من فليس هناك أي اعتراض عليهم ، وإذا مدح الأديب نفسه ثاروا ... ثبتت لديهم الاعتراضات ... والحقيقة أن الأديب لا يفرق بين الشعر والنثر ، وحيد الذي يجيد الشعر قليلا ، فما الفرق بين شاعر يشكو يمدح لنفسه ، وبين أديب ناثر يثني على نفسه بحق ، يا سحر في رائع رائع له الناس أكثار رواج الشعر الجيد ؟

ما الفرق بين مدح ... زكي مبارك نفسه قائلا

للنفس في الحياة صبغة صورتها ... من حرك ما كان بالعلم والأدب

لله خوفي نهج الفكرة منطلق ... إلى الأنام مسرى بآية العجب

إن ... الإلهام ... ... ما بدا ... كب

... كالشهب ... من كثب

في كل قطر لي ريح ... وتأسر الخلق من عجم ومن عرب

إن كان لي ... أن يجهلوا أدبا ... بين الشعر والأدب ...

فليحسبوا مثل ... من الدائم ... النصب

ما الفرق بين مدح نفسه تلك الأبيات ... من ... كتاب ... الأحاديث .

وأنا أعتقد بلا ... ولا ... أن ... العربية إلى ما كانت تطمح إليه من ... أنا أعتقد بلا ... ولا ... أني ...

ضروب الأساليب في اللغة العربية ، وقد سار الجيل عندي طبيعة أصيلة لا يعانيها بتكلف ولا انتحال . وأعرف أنا كيف أن الذي يقرأ مؤلفاتي ومقالاتي يشعر بأنه يرى الخيال ويلقى صور الأحلام بالأوهام ، والآن ، والأمر ، و حقائق والأباطيل ،

قال يا على الجندي ما الفرق بين صحيح الشعر وصحيح النثر ؟ وهل هناك فرق في المطالب الذين سألك منذ قليل ؟ - نعم هناك فرق لا يخفى على اللبيب ، وهي أن الإيجاد يب مبالغة على حين خلا النثر من تلك المبالغة ، ومع هذا ليس الإيجاد مدعاة لا يخفى النظر ، في ميزان النقد المتعارف بين الناس ، أما النقد في النثر المطروح مردود ، وإن هذا أمر في الحقيقة فالنثر هنا أصدق من الشعر في ميزان النقد الصحيح !

وما رأيك يا أخي في هذا الجهد الذي ترك مهرك ،

أنا الآن . المنارى بالتعبير مرة . ومن صورتي بين الزمن يحلق

أليس في هذا الجهد مبالغة ؟ . ومع ذلك لا يقصد الكاتبون إلى هذا الكتابة لأن جميع الشعر ، يكتب على أنفسهم . الشعراء يكتبون على أنفسهم فلا يكتب النظر . وكل مدرك ، الشاعر لا يزال سبه النقاد إذا قال . ومن صورتي بها الزمان فيمضي ، ولكنهم يستكثرون به الكرم . ويجيزونه بأنه على نفسه . كل صاحبها القارىء

وأنت مع ذلك تعرف أنى وقفت لا أجد العروبة والإسلام ما قد عاد ، الوقت أوعلم الخوارج عن العروبة والإسلام شركون . وجوحت من مومن غير النسيم أن يتطاول على ماضي الأمة العربية . وكنت حليفة في الحرب إلى ما آثر العرب الكرام والفاتحين وخلفائهم من أجل الخلق رجالا يعمرون ويبنون ، ويعلمون ويتحررون . فكان اعتصامي بحبل الحق هو أقوى ما اعتصمت به لاتقاء مكايد الناس ومكاره الزمان ،

وقال الأستاذ يرثى د. زكى مبارك ، عن الشعر في مصر

ألا أدري ما الشعر في مصر فلقد ضل    إلى ما يجهله من بعض ظلال

يا ضائعا من أنا رواته وكاتبه    يطوى الشعر الشجى بخطه

ما أراد الشعر في الوجدان رأسك    إن كان في حاجة يوما للإعلان

يطول البحث في الشعر وكذلك ، وإنه من الشك سيرك الشعر في مصر بعد أن صرح روحه ، وقد أثبت هذه الأبيات عليه . فلا أحسبه نظر به إلا بمقدار ما يلمسه النثر ، أي شاعر آخر . ولكن القاري يلحظ موقفا مغايرا حينما يقرأ هذه الكلمات ، لزكي مبارك فيه عن الشعر أيضا ،

أما بعد فأنا أرفع الراية الشعرية عزيزة في أعصر وأظل بأعلاق آثار الشعر بين اللغة العربية . فلم يحس من بعد إن كل يخلق ومنها ثم ميثاق ،

ومن الراجح أن كلمة الشعر تحت تلك الأبيات في الشام . ولكن

الناس ينظرون إلى نثر الشعر بمنظار آخر . ولو استقامت الموازين لما رأيت فرقاً بين نثر الشعر ونثر النثر ، لأن الأدب الرفيع يسمو على كل اعتبار .

والمبرد ، وزكي مبارك ، في عهد الصبى رأياً في كتابه « النثر الفني » بناها على قول « أبي هلال العسكري » .

« ومن صفات الشعر التي تختص به دون غيره أن الإنسان إذا أراد مديح نفسه فأنشأ رسالة في ذلك ، أو عمل خطبة فيه جاء غاية القباحة ، وإن عمل في ذلك أبياتاً من الشعر احتمل » .

ورد « زكي مبارك » على هذا الكلام [illegible]

« وهذا كلام ينقصه التحقيق ، فإن مدح الرجل نفسه قد يجري مجرى التمدح والمفاخرة ، فيجمل وقوعه في النثر ، ونحن نجد ذلك كثيراً من خطب القادة والولاة ورسائلهم ، وليس خطب علي بن أبي طالب في حاجة إلا لافتخاره بنفسه وتقريب قومه من الرسول ... أما الشعر الذي يجري مجرى الزهو والخيلاء فيرد مردوده في الشعر والنثر » .

« ولزكي مبارك مقال بعنوان « كيف أثني على نفسي » يرد به إلى صاحب « معرض الصور » ورداً على مقال الأستاذ عبد الله حبيب ، الذي [illegible] وما جاء في تلك المقال .

« في وصديقي [illegible] أصدقكم أن شئتم أني أثنيت على نفسي بغير الحق أصدقكم من غير أن كنت كاذباً أني ادعيت من الفضل ما أصدقكم [illegible]

تحسر ان ما كان أهلا لتشكركم يوم كرمتموه فضلا، أحد ممن التأليف
أتعبناكم لن تثبتوا له مجهودا سيدونه باسم العلم وكان جميع ساعات
مسألة يوم اصر الخط حدثكم أني كتبت عن مصر فصولا من
كتاب الشرقي . اسألوا المصري الشاب حدثتكم أني كتبت فصولا
جيدة بما لا أحال صاحب المصريين دمشق وبغداد . اسألوا صحف مصر
والشام والعراق ، حدثتكم بأن رحلة إلى جميع الأصقاع في الأقطار
العربية ... ثم آه ... من الإعلان بالمجردات .. أصل بعد إلى
أن يغير الناس على الاطلاق بأنه لم يبق على نفسه إلا أنه يحسن فنه
الإعلان بالطرق ! ..

أرأيت يا أخي القارئ كيف يعرض هذا الموضوع بريئا من الفكرة
والتسلسل ؟ .. أرأيت كيف يسرع الكاتب إلى ترتاح إليه
النفس ؟ ..

وقد عالج الاستاذ العريس هذه المسألة فقال :

ومن أثر ذلك كان هذا الإعلان المشحون عن النفس وعن الخلق ، وهي
مسألة لا تتفق كثيرا مع وقار العلم وجلال الخلق ... ولكنها آفة آلية من
زمان الرومي ، حين ظن أن الناس سكروا عليه محبة ... ويحسدون عليه
مكانه ... ولكن هذه الأمراض النفسية ستمضي في زوال الشباب ، ويبقى ذلك
المجهود العلمي الضخم الذي قدمه إلى الأدب العربي في كل ناحية ... شاهدا
على صدق خدمته للأدب ورفيع مكانته في النهضة .

# في سبيل اللغة العربية

مر بنا في نفس سائل [illegible] ، كم مرة [illegible] ، [illegible] ، كلما [illegible] [illegible] ، وكيف يستطيع هذا الأديب ما أرى من [illegible] وحزم ، أن يحطم [illegible] اللغة التي كانت للناس [illegible] [illegible] عربية [illegible] ، مصر و العراق ، . وكيف استطاع أن يأتي [illegible] الذين [illegible] هذه الخلافات ، [illegible] من قراء الأدب أصحاب الأثر ، واستطاع أن [illegible] أن الأديب [illegible] يستطيع أن يكون [illegible] لبلاده ، ويستطيع أن [illegible] [illegible] من ذلك أمر السياسيين

ولعلنا نجد من الأدب [illegible] إلى الحديث عن لغة العرب [illegible] [illegible] ، [illegible] المتقدم [illegible] ، وقد كانت [illegible] [illegible] عن اللغة العربية ، [illegible] الرائع [illegible] ، ومن [illegible] في هذا الموضوع

[illegible] أن اللغة العربية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من كل [illegible] من طريق [illegible] ولكن [illegible] [illegible] أو الإنجليزية في العصر الحديث ، وذلك أن [illegible] والإنجليزية [illegible] من الروائع في

يكتب شيئاً من الآداب الأجنبية فلا يجد مثلها عنده . أما اللغة العربية فمختلفة
في المنابر كثيرة أحمد لم تعرفه لغة الآداب حيث نحن الإسلام
كل صورة ... يكون ... والفنون ... . ويكفي من ذلك أن
ظفرت اللغة العربية بكثير منها من عبر الأمم المختلفة .

أما الأدب العربي القديم الزاهر فقد كان دركي مبارك ، من أشد
معاصريه ، ولكنه أسف ما ظهر إلى المسألة القصصية وإن الأستاذ خليل مطران ،
والدكتور محمد حسين هيكل ، وكان موضوعه . من كل الأدب العربي
الكبير الأديب الذي كان أو الأستاذ هيكل أن الأدب العربي لا يكمل ... لغة
الأديب ... الأستاذ ... ماله ... الدكتور طه حسين
معاصر هيكل . أما دركي مبارك فقد وقف إلى جانب مطران ،
منذ أن الشباب يستطيع أن يكون أديباً دون أن يلم بالآداب الأجنبية
وحجته في ذلك أن الدكتور طه حسين ، والدكتور هيكل ، أديبان
قبل أن يعرفا شيئاً من الثقافة الأجنبية .

وفي مصر كاتب كبير لا يهتم كثيراً بالأدب العربي القديم ، وقد
كانت بينه خصومة أدبية وكانت ... حول هذه المسألة : إنه يهتم بالأدب
الغربي ويرى أنه ما من الأدب العربي لا ... أن يهتم بالآداب
الغربية ثم ... في القديم ، وربما أخذ على بعض ... الأدب العربي ،
ويطول في ذلك

« فكيف يلام رجل مثلي إذا قصر جهده على درس الأدب العربي مع أنه أدب حي لا يزال يسيطر على أذواق الناس في الشرق والغرب وهو مع ذلك يصور عواطف النفس العربية التي غلبت الإسلام وتركته في العالمين »

وفي هذه الأيام دعوة لترك الأدب العربي القديم ، وهذه الدعوة تصدر أحياناً من بعض أدباء الشباب في البلاد العربية ، وهذه الدعوة فيها كثير من الجهالة ، فقد رأينا من لا يعرف الشعر القديم ، ويحكم عليه كلاماً يشبه الهراء ، وهو ليس من الشعر في شيء ، وإنما هو كلام غريب وضيع دفعوه من هذا الباب ، جهله بالطبع العربي

والأدب العربي القديم يجب الاهتمام به لأنه هو الذي حفظ اللغة العربية بعد القرآن ، وهو الذي جعل العرب يتكلمون بفصحى واحدة في الآداب الحديثة في القديم والحديث ، والتفكير في لغة أجنبية ، بل مؤامرة خطرة لهدم الأدب العربي ، ويقول بعض الكتاب العربي المعاصر ، ويقول : ( زكي مبارك ) : « إن الأدب القديم لن يظفر بالحياة إلا إن وجد له هيئة عسكرية تدافع عن سيادته الآلاف المؤلفة من المتأدبين ، وعرفت على الطلب والأساليب أيضاً ، إلى أن يخلق الذوق الأدبي الذي يصعب إلى الآن له فيه الفصحى في هذه السنين »

وقد يتوهم أن تجدد الكتب الأدبية ونشر هذه الأقلام صورة

معلومة ، وذلك لغرب الربع المطلوب ... وبذلك يسيء إلى الأدب العربي القديم أسوأ الإساءة ما دمنا نحصر ونحرم من يحاسبنا بنشر روائع الأدب العربي القديم إلا أن مجموعة كتب التراث [illegible] والكتب الراقية في حقل نفسه في الأوساط المهتمة بالأدب والثقافة

فأين الهيئة الحكومية التي تسهم في سبيل الأدب الراقي الرائعة من التراث ؟ أين الهيئة الحكومية التي تسهم بجمع الأدب العربي القديم من جديد ، فتكون بذلك سباقة إلى الشكر والحمد ؟

أين الهيئة الحكومية التي تشجع أبناءها على الاهتمام بالأدب العربي القديم ، ونشره في الأوساط الأدبية ؟ أين الهيئة الحكومية التي سيحفظها الأدب العربي على مر الزمن وكل العصور ؟

أين الهيئة الحكومية التي ستحظى بهذه المنزلة القيمة وتسجل لنفسها مجدا سيبقى ما بقي الليل والنهار ؟ .

آمل أن تكون هذه الهيئة الحكومية هي : حكومتنا الكريمة ،

أجل آمل أن تكون حكومتنا الكريمة سباقة إلى الفضل ، ورائدة إلى الخير في العالم العربي [illegible] ، فالكويت اعتادت جلائل [illegible] العربية والمروءة وهل هناك أجل وأسمى من نشر روائع الأدب العربي ؟ هل هناك من يغار على الأدب والعلم ؟

في سبيل [illegible] والحمد لله على [illegible] كما لا [illegible]

الحكومة هذه الفرصة الذهبية فتقرر بالقصد الأول ، نشر المطبوعات العربية بتوزيعها في مكتبات العالم المختلفة في الشرق والغرب

ثم يصير المشروع صعب أول وهلة ، ولكنه يسهل علينا التفكير الجيد ، ويستعان بالأكفاء من أدباء العرب في شتى البلاد العربية . فلا تنقضي سنوات حتى تكون لنا ثروة أدبية ذخيرة في عالم الفكر ، ويكون لنا ، الكتب ، في كل قصد ، ونفوز بالكتب ، بقصب السبق ، ويكون الكتاب العربي على مائل في العالم أجمع

فما رأي حكومة الكويت في هذا الاقتراح ؟ وما رأي المسؤولين في هذا المشروع الأدبي الخطير ؟ ومتى أرى أولياء الأمور بالكويت في هذه الفكرة الطيبة المباركة التي ستستجيب لها الكويت ، وتسعد أحفادهم

هل من مصغٍ ؟

# طموح وعمل متواصل

رأينا كيف مضى زكي مبارك في تحصيل الوصول إلى الهدف الذي كان يطمح إليه وهو أن يكون في طليعة الكتاب العرب في العصر الحديث ورأينا كيف أثر في الأوساط الأدبية تأثيرا فعالا ما زال صداه يتردد في ميادين الأدب والنقد. ورأينا كيف عرض الأدب للمعاصرين والقدامى مناهجهم ، بالنقد من حوله أكثرهم ، ولطالما اشتهر بينهم من صلابة الرد والعناد ، بسبب قلمه القوي ، وبجرأته الفائقة ، على مؤلفاتهم وأفكارهم الأدبية.

وكان إلى جانب هذا الجهد الأدبي يطمح في جهد آخر ويسعى إلى تحقيق غير الهدف الذي بلغه ، فكان يهدف إلى أن يرقى منصبا من المناصب العالية في وزارة المعارف ، فكان يريد أن يكون عميدا لإحدى الكليات بالجامعة المصرية أو منصبا عاليا في الوزارة. ولكن المسئولين منعوا عليه ما يريد ، وحالوا بينه وبين ما يطمح إليه. وكان يرى في نفسه أحرى من غيره بهذه المرتبة وحقا يطمعون عليه ويعطون غيره المناصب ، وكان يسخر من المسئولين على حد تعبيره الخاص.

ولم يكن المسئولون يجهلون مكانته العلمية وطاقاته الواسعة ، ورقيه في مادته واختصاصه ، وكانوا يشعرون دائما بقصوره عن زملائه الأدباء ،

ومنهم من قدم له بعض كتبه وأثنوا عليه ثناء عاطراً حتى أن الدكتور « طه حسين » أستاذه ورئيسه وصديقه أثنى عليه وعلى كتابه « حب ابن أبي ربيعة » بالعطر التقدير ، ومع هذا صار من ألد خصومه التقريبي الخاصة كما مر بنا

والسبب في وقوف المشرفين في الوزارة منه هذا الموقف هو أنه كان ثائراً ، ثورة جامحة ، على آثارهم الأدبية — ومنهم الدكتور « طه حسين » — وكان يصب عليهم الملامة بدون هوادة ، وكان يجهد قلمه في أسلاكه المشرفين في الوزارة ولا يبالي بما تأتي به الأيام ولا يهتم بالنتائج والعواقب حتى أصبح أكثر المسئولين خصوماً له ، ويناوئونه في ذلك

« وهؤلاء الخصوم يعرفون له مزايا من أنه من أهل الصدق ، ولكن العصرية لها طابع سيء وهي حرمت الحكم من مواهبه بلا ذنب ولا اجتهاد . »

وهناك سبب آخر يتصل بالمشرفين يتعلق بإعطائه أحد المناصب العالية في الجامعة وهو أسلوبه العنيف الذي عرفت به كرم الصحافة العربية أيضاً منهم كانوا يرون أنه من غير اللائق أن يجلس مجلس المعلمين وبجانب أستاذ كبير في مناصبه وأديب شهير وجه المعركة الأدبية

ولو كان هذا الأديب في الغرب ربما صاحب مع المسئولين ؟ لأن

الحي بالحب ويختال من عبرات الصدر .. وزكي مبارك شاعر قبل أن يؤلف الكتب المتخصصة في الأدب والفلسفة ، ولكن الهيئات الحافلة في الشرق لم تألف هذا الأسلوب المبتكر فلقي جفوة من هذا الأديب ... فكان إبعاده عن مجالسه ... وتعلق شهرته في ماضيها الحالي ... نتيجة لذلك الأسلوب العجيب .

وعلى ما بعدنا عن الذين يعيبون عليه أنه يبدأ بأدبه في الصحف والمجلات ، فهنا يلوم بالجيل وسوء التقدير ، وعدم القدرة على تصريف الأمور ، فكان بعضهم يحاول الاصطدام به ليكيده ، وكان بعضهم يجانب صحبته ليسهوا له السر والكلام .

ولقد تعرض الفصل من وظيفته بالتفتيش فكان نصيبه رقي في الأول والفصل في الثانية ... ويعز علي أن يكون أديبا كبيرا في الرعيل الأول من أدباء العرب المعاصرين ، ويحزنني أن يكون نصيبه الإقصاء من كليات الجامعة المصرية أو مفتشا بوزارة المعارف !

ومن ملاحظاتي على شعره أنه كان يحفظ آلاف الأبيات من الشعر ، وحدثنا كان الدكتور طه حسين بك يتحدى المعاصرين في الجامعة المصرية ... من أساتذة الأدب في مصر ليس فيهم من يروي ديواناً من الشعر العربي رواية صحيحة ، فرد عليه زكي مبارك قائلاً

اسمعني يا دكتور ... فقد تحديت ... لأنني أحفظ عن ظهر قلب

على ألف بيت من الشعر ، وأستطيع إنشادها عند من بعد منهجية ،
الأستاذ الدكتور « طه حسين » : « أنا أقصد أستاذي الجامعة »

ولقد سأله بعض أصدقائه عن المكان الذي يسهر فيه ، ويقضون المكان الذي يقضي فيه أوقات الفراغ ، وقد فاتهم أن هذا الأديب المهذب يتورع عن السهر في القهوات الموبوءة المسمّاة للشرب ولعب الأوراق ، ولا يقبله غير الحمقى والعامة . كانوا يتصورون أنه سيجيبهم بأنه يسهر في القهوات حيث يسهر فيه الشباب الذين لا يحترمون ورق الكوتشينة ، ويضيعون وقتهم ولا يدرون كيف يصرفون به ، وكيف يقضونه ليكونوا عالة على المجتمع .

كانوا يتصورون أنه سيدعوهم إلى أن يذهبوا يشاهدون أين الرقص ، بعد من رقص ونفيس ولكنه يجهل ب المكرير ... الأمر من الشباب ولكنه رد عليهم قائلا :

« أين أسهر ؟؟ أنا أسهر في بيتي حيث ألقى فرحة الليل ، فلقد هجرت من إخوان الزمان ، ووجدت الوحدة أحب إلى نفسي من صحبة من يحسبون أنهم للسحر ورونا للسهر » .

هذه الصورة النفسية تجيب سائليه عن مكان سهره . وهذا جواب كل شخص ... جريء عن صغائر الأمور ويعف السهر في القهوات الموبوءة

إن الكاتب العصري يجب أن يستمر كل دقيقة من دقائق حياته ليعمل عملا ويفيد المجتمع وهل هناك مكان يجد فيه غير ل العمر [illegible] بعد حين يأتي بوجه اليأس كأ جوبه ، ولكن مازالت ، وكما يقول المنطق الصحيح ؟

لقد كانت حياته كفاحاً متواصلا في سبيل الأدب والعلم وكان يجلس فيه في مرقده منذ أيام لكي يستطيع الصباح في مهنته الأدبية وقد كان معتاداً مدة طويلة ، وكان مفروغ القلب من الأكثر الذي في تلك الظروف العصيبة . وعندما كان في بغداد ، كان يكتب في الأسبوع ستين صفحة ويعمل أكثر من خمس عشرة ساعة . فاستطاع أن يؤلف ، خلال ستة أشهر ، [illegible] مؤلفاته إلى جانب واجباته في دار المعلمين العالية .

وهل كانت حياته شيئاً إلا كفاحاً مستمراً في سبيل العلم ؟

وهل كانت خصوماته الأدبية إلا دليلا على طموحه وعمله المتواصل وكفاحه في سبيل الحريات العلمية ؟ أليس برهاناً على سعة الحلم على مكاره السهر ومضايقات [illegible] والانصراف عن شئون الحياة الأخرى ؟

إن حياته كانت موزعة بين التدريس والنقد والبحث العلمي ، لقد أكره نفسه على العمل المتواصل من أجل [illegible] آرة [illegible] في

الأدب العربي القديم، وصحح كثيراً من المفاهيم الخاطئة التي كانت متداولة بين الناس. وقد قضى فترة طويلة في دراسة كتاب «الأم» للإمام «الشافعي» فاتضح له أنه ليس من تأليف «الشافعي»، وإنما هو من تأليف «البويطي» وقد تصرف فيه «الربيع بن سليمان»، وقد نشر هذا الرأي في كتاب سماه «تحقيق نسب كتاب الأم».

وكتبه التي أربت على الثلاثين تعد شاهدة صادقة على جهده الشخصي وطموحه العلمي، وأكثر هذه الكتب كتب علمية، تستند على التحقيق العلمي الدقيق. فقد ألف «النثر الفني» في سبع سنوات، وألف «التصوف الإسلامي» في تسع سنوات. ومعنى هذا أنه استطاع أن يقوي النفس على الصبر الطويل، والعمل المتواصل سنوات طويلة، في تأليف كتابين هما من خير كتبه، ومن المعروف أن الكاتب إذا مل من كتابة البحث لم يرجع له ثانية ويتناول موضوعاً آخر، إلا إذا كان هذا الكاتب جبل على الصبر والكفاح العلمي الشاق.

ومن أعماله الأدبية التي تذكر فتشكر، وتستفيد منها الآلاف من طلاب التوجيهية في مصر بصفة خاصة، والآلاف من طلاب الأدب بصفة عامة، من الأعمال التحليلية التي نشرها في مجلة «الرسالة»، لما كانت وزارة المعارف تقرر هذه الكتب على طلاب التوجيهية لم يتقدم بمثلها سابقه، والطلاب الذين يدرسون مقررات هذه الكتب تنبهوا إليها بحرارة

تشجعهم على البحث والقراءة المفيدة

ولا تقتصر عنايتهم على الكتاب المقرر ... عبد اللطيف أن الكتاب المدرسي وحده كفيل ... الذي يعرف الطالب بمكانة الأدباء في المجتمع ثم يعرض نصوص الكتاب والمختارات الأدبية التي يجب أن يلم بها الطالب، وقد صرح كثير من الطلبة بأن تلك الأساتذة كانت تساعدهم على التفوق في المسابقة

وأهم تلك الكتب التي قرءوها طوال دراستهم هي: «حديث عيسى بن هشام للمويلحي»، و«المختار للبشري»، و«مطالعات في الكتب والحياة»، و«إبراهيم الكاتب للمازني»، و«العبقريات»، و«ديوان شوقي» و«ديوان حافظ»، و«فيض الخاطر لأحمد أمين»، و«تحرير المرأة لقاسم أمين»، و«الأيام لطه حسين»، و«من الرسالة الزيات»، و«المنفلوطي» ...، و«عرض الآراء الحديثة ترجمة عبد ...»، و«ديوان البارودي»، و«الأجنحة المتكسرة لجبران»، و«ديوان الجارم»، و«ديوان علي الدين ...»، و«أخبار أبي تمام للصولي»، و«في ... لأحمد حسين»، و«أهل الكهف لتوفيق الحكيم»، و«مختارات الشعر ...»، و«الأخلاق عند الغزالي لزكي مبارك».

وما زالت طائفة كبيرة من آثاره منشورة في الصحف والمجلات، وهي تكون مجموعات أدبية طريفة جديرة بالقراءة والاطلاع، ولست أدري

من تجميع هذه الآثار الأدبية ، يكفل حفظها من الضياع ، ويستفيد منها القراء في شتى ديار العرب ، لا سيما من كان في مصر أو سواها ، وكانت البداية من خلاله في كتاب النهضة الأدبية الحديثة .

ومن مزايا مختاراته الحديثة أنه يختار ما يعجبه ، وما يروقه ، وكم يكون لذلك في هذه المختارات من أثر . لقد كانت هذه المختارات كالراحة للنفس ، وفيها أخبار أدبية ، وفيها تعليقات مبهجة ، وفيها القصص والنوادر ، حسب إرادة هذا الناقد الثائر ، وفيها خواطره العاطفية ولواعج النفس المتوثبة وفيها أيضا كثير من الطرافة والهدوء والمتعة ، كما أن إحدى هذه الخواطر قد تصل أحيانا إلى صفحات من المقالة ، وكانت أحيانا لا تتجاوز بضعة سطور وقد كان القلم يجري أحيانا ليسطر خواطر قد تختلف أغراضها في الحيوية والإتقان والإبداع ، ولكنها جميعا تدل على أنها تمثل أمام القارئ الخواطر من النفحات المستقلة .

وإلى جانب التأليف اتجه إلى شرح وتفسير الكتب الأدبية ، فقد شرح وحقق كتاب «رغبة الآمل» في أربعة أجزاء ، وهو شرح وتحقيق للجزء الأول من كتاب «الكامل» للمبرد ، وشرح شيء من الجزء الثاني ، وأكمل الشرح الأستاذ أحمد محمد شاكر ، وشرح كتاب «الرسالة العذراء» وهو الشرح الذي يحمل على الأستاذ من في القرن الثالث الهجري

## نظرة في الأسلوب

ولزكي مبارك ، أسلوب فريد في الكتابة ، له مواضعه الجمالية ولطيف ومداعب ، وكل من يقرأ كتبه يدرك هذه الحقيقة ، ولعل هذا الأسلوب أهم عامل في إقبال القراء على كتاباته ، وذلك الإقبال العظيم ، ومقالاته التي كان ينشرها في الرسالة بأعداد متتابعة كانت خير شاهد ، وكان القراء يحرصون على متابعة القراءة بين السطور

اكتسب زكي مبارك ، هذا الأسلوب من عدة مصادر ، الأول ، تمكنه من قواعد اللغة العربية تمكنا قويا بفضل السنوات التي قضاها في الأزهر ، ومما لا ريب فيه أن لغة الكاتب في اللغة ضرورية للكاتب ، بدونها لا يستطيع أن يعبر عن الأفكار ، ويتمكن من [illegible] أن يسمو بأسلوبه عن الإسفاف والابتذال والركاكة التي تصادف أغلب الكتاب القادرين على اللغة العربية ، والذين [illegible] التخصص من قواعدها

ولزكي هنا [illegible] عسكر الكاتب من اللغة العربية وقواعدها والتمكن [illegible] القراءة في [illegible] الرسالة منها أكثر من [illegible] أحد الكتاب [illegible] باسمه [illegible] الكاتب من اللغة العربية وقواعدها كان [illegible]

فتجنب كثيراً من مواقع الزلل التي وقع فيها، ولذلك جاءت ناجحة كل النجاح

والمثال الثاني تراه منذ سنة في مجلة شهرية تصدر في القاهرة، فقد أرسل أحد الكتاب مقالاً للنشر فكان نصيب المجلة من معناه، أن يمكن الكاتب من اللغة العربية وقواعدها جعل المقال يعثر كثيراً من الناحية الأدبية

وإنه من صنع الأيام أن كان رؤساء التحرير في المنابر يحرصون القراء على المزيد من الاطلاع في اللغة وقواعدها، فأصبحوا في هذه الأيام يشجعونهم على التمكن من اللغة وقواعدها ..

ومهما يكن الأمر فإن قراءة الكاتب في اللغة وقواعدها ضرورية جداً، ولقد ذكر هذا المعنى الدكتور «طه حسين» في أحد كتبه الحديثة وهو كتاب «خصام ونقد».

والمصدر الثاني في تكوين أسلوب «زكي مبارك» حفظه القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وآلاف الأبيات من الشعر العربي. أما اقتباس الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، فهو كثير جداً في مؤلفاته ومقالاته، وهو يجيد الاقتباس إجادة عظيمة. وقد أصبح مضرب المثل بين القراء بحسن حفظه لمواقع الآيات التي يستشهد بها في كلامه. وأن حفظه الشعر قد جعله متمكناً من صوغ التعبيرات الجميلة التي لا تعوزه أثناء الكتابة، وأصبحت أداة طيعة على سنان قلمه، تزيده

يستشهد كثيرا بالشعر ، ويراه يضفي على تلك التعبيرات مسحة من الجمال خاصة تبدع بما كتبه .

ويهتم زكي مبارك بالشعر ويعرض لصنعة الموسيقى ويقرر أيضا كيف يرضي القارىء بقراءة دواوين « البحتري » و « الشريف » و « شوقي » ؛ لكي يستطيع الحرية في التعبير الشعرية المشرقة ، واقتناه بها الشعر — خاصة مع جعل لأسلوبه هذه الميزة المعروفة .

والمصدر الثالث الذي ساعده على ابتكار هذا الأسلوب الجميل هو اطلاعه من آداب اللغة الفرنسية فاستطاع أن ينقل طريقة الأسلوب في اللغة العربية لهذا حسبنا التدرج من آداب الشعوب ويقول « الزيات » عنه :

« وكان رحمه الله من أظهر من الملهمين الذين يسطرون الحديث القديم ، ويصوغون القول بالعرب ، وكان لسانه البليغ النفس الحكيم على البيئة الأدبية جار وعدوا من أساس ، وكانوا من قواعد ، ومخلوا من قوانين ، وبهذه الميزة كان الفقيد الكريم نصيب في بلاد بعد الرسالة حبا حسب الشعر .

واستطاع زكي مبارك بأن يجعل من النثر أداة الغزل والتشبيب ، بينما كان هذا الفن مقصورا على الشعر فقط والتشبيب الموجود في كتاباته يطرب النفس كما يصنع الشعر تماما — حتى قال « الأستاذ علي الجارم » :

«ونتذكر مع زكي مبارك في تقديمه بين فن النثر والتشبيه من الشعر إلى النثر .

«والأستاذ الجندي ، كان شاعراً مجيداً يعرف موضعه من الجمال في الشعر ... ولقد جرى على أسلوب «زكي مبارك» فصرح بتلك الكلام ونحن نعود لما يقول .

كان أسلوب «زكي مبارك» في أول حياته الأدبية أسلوباً مسجوعاً ، يعتمد على الزخرف اللفظي ... ويتمثل فيه بعض الأدب القديم في العصور الإسلامية الأولى ، والقواعد كالقول كتاب «صبح الأعشى» ... ونحو كتابه المدائح ، ولكنه بعد أن اطلع على أساليب الكتاب المحدثين ، وبعد أن اغترف من آداب اللغة الفرنسية ، وبعد أن أخذ يطيل النظر في الآداب العالمية ... صحيح له أن أسلوبه لا يتمشى مع روح العصر ، فترك السجع جملها ، وأطلق لقلمه العنان ... حتى ما تمليه عليه ... الثقافة الجديدة التي تعني بأسلوبه إلى الطرفة والكمال .

وكان متأثراً في مقدمة حياته بأساليب «بديع الزمان» و«الحريري» و«الثعالبي» و«ابن العميد» ، وكان يحفظ عن ظهر قلب «مقامات الحريري» و«نهج البلاغة» ، وكثيراً من آثار «ابن عباد» وغيره من أدباء الصنعة

ولقد كان معجباً بكتاب نهج البلاغة ... حتى قلده تقليداً واضحاً بأسلوب «الإمام علي» في عنوان «الأنوار الصالح» و«كتاب المدائح»

ومطالب شعرى من الروم ؟ أفلوم قصى من قبل أن إداهن في ركز اللين والضراب فأسهم حيث سرهم ولقيم حيث ألقم أم ألومكم على أن لم تكونوا رحبها وآخرها ، ملكم وأطلكم ولم يبالوا من حقدتموه طرح حرمتي سرهم ؟ ألم أكن جعلتهم سكم والأفكار فرجاله وأظلهم من بعد كرهم فكانوا كالبناء ، ووجهتهم حصنا ألق به العدو للخلاف ، والرمي الحار ، فأنا أهل من أراد تنسي ، وإنما القلب ظلم والرامي برمح يطمع في أن يطمع ، ولطالما لك المرء بيده !

وهذا الأسلوب يشبه أسلوب خطب علي بن أبي طالب ، في ذم أصحابه وأوليائهم ، ومن يرد في كتاب « نهج البلاغة » كثيرا

ولم نكد هذا الأسلوب بعد ذلك بكتابه الأوسطة ، فبعد أن كان يستعمل المترسل قديما أصبح يكتب مثل هذه الكلمات التي تسيل رقة وعذوبة فتطرب القارئ وتجعله أمام فن فني رائع !

وأنا أقرب أمر من عصر الجاهلية لا شبه على لسان القلم إلى أسلوب بالغ الفارجين

وقريب المعتمر من رسيق أو جود معنى ساقوييه فصول إلى أم قرب ، فكيف أصحت والمبا كالمن سويتحارج بأرج الأزهار والرياحين في قلب يتحرم إلى أمان الجمال تطرب النفس بل أمام الصباح ،

ويبد أن كان القارئ يمرح به مثل هذا الكلام

«وما قيمة الليل إن لم تتخلله الشهب فتملؤه؟ وما قيمة الفجر إن لم يذكرنا بالفجر الأول؟ وما جمال الإحسان إن لم يجر في رحم القلوب؟ وما حسن الأزهار إن لم تفض إلى ثمر حلاوته؟ ..»

أصبحت من المفكرين بالعلوية الجديدة التي يقول بها

«.. ولكن حدثوني كيف يكون شعور الروح، روح المجاهد المعروف لا المجهول، حين يمر الناس على قبره، فلا يترحم عليه من رحمه صورة، ولا يترحم من روحه مثال؟

كيف يكون شعور الروح، روح القائد المغوار الذي يمر الناس على قبره، فلا يذكرون كيف صارع الغاصب وصارع المغتصب؟ .

حدثوني كيف يكون شعور ذلك الروح، وقد كان في دنياه أرق من الزهر، وأقسى من الزمان؟ .

ولو كان ذلك الروح يعرف أن عظامه مدفونة في أرض موحدة فهل عليه عتاب الناسين؟ ..

ولكنه يعرف أن عظامه مدفونة في أرض غريبة أحبت القرابة وأقبل على غنى قومها من أقطاب الرجال. كيف يكون شعور ذلك الروح في تلك الأرض. الروح الذي اسمه «الشريف الرضي» في الوطن الذي اسمه «العراق»

وهناك مصدر رابع لروح العلوية الجديد وهو استعداده الفطري

وكذلك الكاتب بقلبه وقصته الشاعرية التي تمس معاني الجمال، وهو يستقي أسلوبه من نبع زكي في أعماق نفسه، ويكون قصته من أكثر مستحباته الأدبية والعصرية، فالظهر رحمة على من قلة الجمال.

ومنذ الأسلوب الوجداني يغلب أحيانا على أسلوبه العلمي بالحمد والتحقيق حتى أن أساتذته في باريس نبهوه إلى حسنات التحويل أسلوبه، فاعترف أساتذته من سيجون، قائلا: إنه شاعر والشعراء لا يستطيعون الفرار من ذواتهم.

ومهما يكن من شيء فإن زكي مبارك صاحب أسلوب في الأدب العربي الحديث، وأسلوبه هذا جعله مميزا من القراء فيه رقة وعذوبة وسلاسة، تحبب لذة القصر، وأصبح أسلوبه معروفا بين القراء بإشراقه وحسن بيانه، ونرى أثر أسلوبه واضحا في كتابات الشباب الذين تأثروا بأدبه وطريقته في الكتابة.

وفي أيامه الأخيرة كان أسلوبه ما قال أبوه من الفطر تضرط، وأخذ القراء عنهم يرون الضعف في ذلك الأسلوب لأنه كان يكتب في عجل لا تعمل بالأدب الرفيع والأسلوب الجميل فقد بعض خصائص من أسلوبه الذي اشتهر به بين القراء.

# حيــــاة عاطفية

يسمي د. زكي مبارك «بالحب والجمال» في كثير من كتبه، وأنشأ المقالات الطوال في الغزل والتشبيب، ويبين مؤلفاته مجموعة كتب خصصها لرسائل الحب وأخبار الغرام، وذكر فيه كثيراً من خطابات النفس ونزوات الوجدان. ومن هذه الكتب «ليلى المريضة في العراق» و«مدامع العشاق» و«العشاق الثلاثة» وديوان «ألحان الخلود» وهو يجمع بين صفحاته وافراً من قصائد الحب والجمال.

فما السر في ذلك؟ وهل د. زكي مبارك من العشاق المحرومين حتى ينشغل بذلك في أخبار الملاح، وأحاديث قصص العاشقين، ويسطر ما في نفسه من لوعة وأنين؟

في كتابي «في الأدب والحياة» فصول عن د. زكي مبارك، وقد حللت أسلوبه في الحب تحليلاً يتأنى، وزكي مبارك من العشاق والجمال، ألمعي له صوت كبير، وأستاذ شهير من أساتذة الجامعة، وأديب مشهور من أدباء الطليعة، فليس من المعقول أن تكون أخباره في الحب قصصاً وخيالات، ولكنه أخذ إلى غرامه الذي تصعد القارئ منتها في شعره ونثره ... إلا غرام الصد والملل، ... وما ليلى إلا حبيبته كما سوى

فلفة العربية التي جمعها زكي مبارك ، فأصبح أمير الشاعرين

هل كنت حسناء في قول ؟ إن خطالنا في كسر آخري

وليس على أبي مطلب سراً يمكن ورد له بعد الأخبار الكثيرة عن حبه وغرامه

طب من ذلك السر ؟ .

ذكرنا في الفصل الأول ، مشريس ، أنه أحب فتاة مصرية في مثل سنه أحمد الطاهرة البريئة . فاستطاع هذا الحب في نفسه كل الاستطاع وحتمه استطاع أن ينظم الشعر آخذ يغني حبها وجمالها . ولكن المنية كانت لها بالمرصاد فطوتها الردى في ربيع العمر وفجر الشباب ، فترك بعدها حبها الأول بعده الحب ساعة فلسفية

، إلى تلك الفتاة التي علقها القلب أول خفقة ، والتي أحبها أول [illegible] ، وسكبه على أمره حمله . إلى تلك الفتاة المليحة التي كان لها [illegible] مشريس ، . إلى خيالها في الشباب بالأمنة الآمال ومأنسة الآمال الملك — بأقل ما كنت أبيله في مطلع الحب وفجر الشباب — أقدم هذا الديوان

وأقسم ما سمعت إلا أماني يزايلها حزني ويشرعها وجعلي

فلا تعجبي بعد أن هاتك التي علوت ما بين دونك من عهد

إذن قدمه أمامي يرجعه لحبيب كي من قلبه واعتقادي

[illegible]

وتمنى قبل أن يتكون من ابويه وملأ القلب بحديث الغرام قبل أن
يسمع من كلام الأدباء ، وليس الحس بالجمال بما تعلمه من قيمة تقرره وتمكن
عليه الهيئة التي خلق فيها كانت تنكر هل من في مثل كلامه الحسية أن
قوالب كتب في الحب ولد من القلب ، ولد وجدت إليه ، صيحات
الاستنكار ، وجهرت الأديب الفاسد عند ما أخذ ينشر رسائل ، يشيع
العشاق ، وعارضه الأقلام بالنقد والتجريح ، ونادوه من هنا وهناك عربية
عن أهم الأدب ، وكلها عن الحب والهوى والغرام وأهل الغرام
ولكنه لم يكن من القائلين إلى رد عليهم بهذه الكلمات
« في مصر قوم لا يعرفون من هذه الفطرة الكريمة
والكاتب الذي في نظرهم هو الرجل البليد الذي يقول إنه كتب ،
أو تمسى في كنيسة ساعة أو خطيب في مسجد جامع غير مشغول عن
سرد الرسائل وتشكرهم ، فأما الكاتب الذي يريد أن يرفع الله منه القلم
من روائع الحب ، وبدائع الجمال ، فهو في رأيهم كاتب ماجن
خليع ! ! »

ولا أدري لماذا يحب هؤلاء أن يسألهم من خلق هذه الصور الجميلة
التي احتوت ألباب الشعراء ؟ وسحرتهم في كل واد يهيمون ؟
أتراهم يقولون إنها من خلق الله ، أم من خلق الشيطان ؟ فإذا كانت
من خلق الله ، فلم ينكرون عليها أن تحتفي بحسنه البديع ؟ وإذا كانت

من خلق الشيطان فلم لا نصون الحسن من تشويه الشيطان ؟ أليس من عمل الشيطان الرجيم ؟ آمنت بالله وكفرت بالفن من منطق مقلوب .

ويتابع برد الهاشمي [illegible] في طريقه الرصين إلى الهدف الذي رسمه لنفسه ، وهو النثر هذا الفرع من الأدب بين سائر الفنون الأدبية ، بالشعر والنثر يجد أن كلا ميدانان للفن والتهذيب مقصوران على الشعر ومما لا ريب فيه أن الشعر ميدان محدود لا يستطيع به الشاعر أن يشرح كل ما في نفسه في القصائد والمقطوعات ، وذلك المراحل القيود أحيانا أمام الشعر . أما ميدان النثر فهو فسيح الجنبات ، مترامي الأطراف ، يستطيع الناثر أن يطول ويعرض في إظهار مثال الحسن وسمات الجمال

والنثر الفني هو عند هذا الفرع من الأدب ، بل يجب أن يكون النثر فنيا يجاري أسلوب الشعر في هذه الأغراض ، ولا بد أن أسلوب [illegible] في هذا الباب كان غاية الغايات ومشتهى الرغبات

وكان يرى أن الحديث عن الحب ، إذا جاء صريحا ومباحا [illegible] إلى الفن ، ومن ينفتح للحب بأنه [illegible] مع الزمن طول الأيام . كتب هذا مضمنا في رسائل [illegible] الاستنكار التي وجهها إليه [illegible] مطلع شبابه وحتى في شيبه ، ورجوع الرأس ، [illegible] وكان يرجع نجاح شعره [illegible] والخيال في الصور الأدبية الأولى إلى [illegible]

ذلك العصر ، وعاش بينهم أولئك الشعراء تنتقل أخبارهم في البلاد بدون أن يتعرضوا إلى اللوم والتثريب

وفي كتابه عن الشعراء الثلاثة ( كثير ، وجميل ، والعباس بن الأحنف ) ذكر عن حبهم وغزلهم ويقول فيهم

إنه طالما حاولوا أن يحصروا الحب ، وأن يطهروا نفوسهم من الجسد ، ويكون ذلك لأنهم عاشوا في أيام كان أهلها أشد الحضر والطرب ، فالشعراء عندئذ يتمرنون بتصحيح الرأي الأسمى لا يقطع المرء بهم

ومن الحق أن العرب في شباب زمانهم كانوا يرون الحب للتحية ، وهذا هو السر في التقليد الذي كان يوجب بدء القصائد بالنسيب ، وما كان ذلك التقليد إلا استجابة لنزعة روحية لا ترجع إلا إلى أصيل العقل ، وهي الدعوة إلى التصوير بما في الوجود من أطايب الجمال .

ويقصد دكتور مبارك من هذا ، الدفاع عن طريقته في الحب والجمال الحسي والدفاع عن حبه الشعري الذي طالما أن يتمتع به في كثير من كتاباته وحديثه من كتب .

إن حب دكتور مبارك حب حسي غير مصطنع والأدلة على ذلك كثيرة وهل يستطيع محب مهما أوتي من قوة البيان والإشراق الروحانية أن ينظر خطرات الشك في التغني بالحب والجمال ، وهو خلق الجمال من

الحب ؟ هل يستطيع هذا الأديب أن يضع في تلك الأبيات من
روحه شيئاً إلا قصد التفريق بين الشاعر وبين الألباب ؟
هل يستطيع شاعر أن يجد ويقول هذه الأبيات وهو يستطيع حب ؟ :

| | |
|---|---|
| أستعمر الهجر بعد ... | من لسوء الصد والتبريح أحمالي |
| يا ويح الهوى لا مرى ولا ... | مفرح القلب في صبح وإمساء |
| إن الذي أمس حب قد تذكرا | لم يظفر الحب في حسن وإحسان |
| لم يلق الفؤاد يوماً من مطالعهم | إلا زوراً من الأيام إحساني |
| كم رحمة أحل آمال حبيهم | وجدد أحل آلامي وآمالي |
| يا لوعة القلب لا ذكراي نافعة | ولا بكاي بشاف من خيالي |
| بعد أحب منها من حبيبه | كأنه البرق في أطلال ظلمة |
| يا من يجز علينا أن تحاربهم | صد وبعد والحنان الجفاء |
| لو يرحمون ومالي فيهما كلها | ألا جمالكم حسبه الف بأساء |

هل يستطيع كاتب أن يسطر هذه الكلمات وهو بعيد عن الحب ؟ :
هوى ، وجوى ، وشجو ، وشجن ، وهوى ، وجوى ، وشجن ، وهوى ، وهوى
، الشاعر ، وجد ، هوى ، فأي هوى ؟ وما هو الاسم الجليل الذي
أصبحت حباب هذه الكلمات ؟ هؤلاء الموصوفون في الحب من كثيرا
المحسوسين ومن يرى الهيام — فلو عرفت إلى وردوس ملكنا أصحى من
حولي ، أرى أكرم منك ؟ تلك الروح الخالدة ولا أعجب ولا الله .

وإن توهمت أن العصـــر ود من جحود وإهمال !

هؤلاء المرحـــومون في الحب يشكلون كما هي على مر الزمان والمكان [illegible] كانا ومات أو صوت نادى صبر الوجود

طوال هذا الكتاب ، يا ثالث الروح [illegible] والناس إنما لا يلتقوا خطأ من زمان ، الشمول ظلم اليوم لحظة من زمان ! .

هذا الكتاب آخر العهد بالحب [illegible] ورأيته ثم أدمن توديع الحب ، إذن حب [illegible] ذكي مهرولة ، حب صادق منسجم من [illegible] عاش أعماقه ، والمواهد كثيرة . وإن هذا عربي الحقيقة [illegible] إن شعره أصدق من شعره في الفرحة والحزن [illegible] وإن [illegible] الحب الصادق تجعل في كتاباته الوجدانية أكثر من العمل في أشعاره [illegible] ومن يوازن بين شعره ونثره تتضح له هذه الحقيقة بأجلى مظاهرها

ويمكن أي نوع من الحب [illegible] ذكي [illegible] فأصبح خيال الفؤاد [illegible] القلب ، يصوغ [illegible] وأحلامه في الفكر والآتي ؟ أي حب [illegible] جعله [illegible] وأحاله إلى [illegible] بطبع [illegible] أكثر [illegible] طابع [illegible] في [illegible] الأخيرة ؟ أي حب هذا ؟ ومن هي فتاة أحلامه ؟ .

إن حبــه هو الحب العذري ، هو حب خالص من شوائب الدنس والرجس [illegible] هو حب طاهر ، شريف [illegible] لا يعرف [illegible] أثم ،

ولا متعبد الأهواء ، كما يجوز ، كل مدرك ، عن حب الشاعر المسلاة

إن هذه الأحلام هي تلك الحالة التي تحمل صاحب القلب الرقيق المحبة على الشاعر الرقيق إلى أسمى ، ويهتم بالسعادة ... تلك ، الحالة التي يحسها التي فيها الشاعر ، فتخطب آماله في حب ، وتتباين أحلامه في السعادة لقد طلب من الحب ولكن طلبه لم يجب ... لقد كان يحلم بالحب إلى الأبد ، ويطر فيها القصائد ، ويحكي ... حتى توفاه الله .

ولقد كان يرى ... في ... وأحرف من ... حواء ... في النسيم إذا هب وفي القمر إذا طلع كان يراها في الليل إذا عسعس ، وفي النهار إذا تنفس كان يراها في جمال الشلالات وورود الطبيعة كان يراها من خلال السطور ... وتجيئه في خلوات الليل ، وكان يراها في قلبه وبصره .

لم تغب صورتها عنه طول حياته ، لذلك نراه ... الحب ، ... وأحلام ... أعمق ... حبيبه وأنينه إلى تلك الروح في كتاباته الكثيرة ... والليالي اللاتي ... في أعماله الكثيرة .

ونعرف شيء عن الشاعر المصري

الشعر المصري ... إذ ... عن ... بنات ...

فهو يخلق منها قوة روحية تسيطر على مسالك حياته ومذاهب عمله ، فهو يراها أسمى من الغريزة الجسدية ، ولذلك يراها أبعد من عالم الحس

المرأة عند الشاعر العذري مثال رائع لا تحده الأوهام ولا الظنون ، هي جنة لبست ثياب المرأة لتحييه وترعاه بلا رق ولا استبداد .

ومن المؤكد أن الناس معجبون من الخيال الذي يتمتع به الشعراء العذريون ، وهو في الواقع خيال عجيب لا يرضى عنه الناس ، في رأسه عقل

ولكن جاز أن تنقلب هذه الأحوال في أحوال العشق ، وإلا فكيف جاز أن يكون العذريون القائلين لها أمية روحية يتنقل بها الناس من جيل إلى جيل ، وكيف جاز أن تصبح معبرة عن خواطر الضعيف في جانب تنكر الهوى والزواج ؟

إن هذا الوصف الذي وصف به الشاعر العذري ينطبق عليه تمام الانطباق خاصة في الأحوال الأخيرة ، وكيف جاز أن تحسب الموازين لخواطر الضعيف في جانب تنكر الهوى والزواج ؟

إن من كل هؤلاء واحد من أولئك الشعراء العذريين الذين كتموا الحب حينا من الدهر ثم كشفوا أنفسهم بأناشيد رائعة في محاريب الحب والجمال وأظهروا من قلوبهم صفحة من الشكوى والحنين ، وطاب لهم أن يصوروا أنفسهم بالحب وتخلو نفوسهم من الحقد

ولا حصره النرشه طرائف تحتســـه وعد تلو الأستاذ «أحمد على
الطاهر» صاحب مجلة الشباب عدد من الرسائل التي تلقتها منصة أعمار
«ليلى المريضة في العراق» المنشورة في «مجلة الرسالة» .

ونقرأ إحدى الرسائل التي تلقاها من «العين» .

وبالله عليك، كيف أن حكومة «العراق» ما قبس الدكتور «زكي
مبارك» الذي يعرض في مقالاته بنسوان الشباب ، ويطعن نساء أهل
بلاد الناس العراقيين، على «الحاجة بين رجل ومرجة» وحقيرا «السيد
فليته «يحب صبيا» .

ويجيب الثالث بقوله

«لا تستطيع حكومة العراق العربي للدكتور «زكي مبارك» بصفته
كاتب ؟ لم يعرض لأحد من نسوان الشباب ، وأما «ليلى» «وظبياء»
فهما من الأسماء المتداولة للمحبين عند الأدباء ، وكان رجل السروجي «مع
الحريري» ... «وعيسى بن هشام» مع «بديع الزمان» ، اختلقهما الدكتور
«زكي» ليجري على ألسنتها المحاورات والمعاني التي يريدها» . .

ورسالة أخرى من «عربي» يقول فيها

«هل السبب في احتكم زكي مبارك» في الحان وليلة ما تفهمون؟
حتى يسكت لسانه عن التحدث بمقالات الشرعي» .

مع تحياتي لكم

«الدكتور زكي» ليس حكيماً بل هو أستاذ، وقد تخصص لقب الدكتوريه ليزهو به في ساحة الأدب لا في ساحة المصريين

«والدكتور مبارك» رجل مزدوج منذ كان طالباً في «الأزهر» وهو الآن أيضاً مزدوج، وكم يطلب من الأولاد، إذن هو ليس «مزدوجاً» بل هو مثلث أيضاً وله كرامة ... ... ؛

ورسالة ثالثة من هذه الفرقة بطول سالف

«وصاحب «النثر الفني» و«التصوف»، هاته أيها العزيز من عصر «زكي مبارك» وهل هو «شيخ» أم «دكتور» أم «أفندي»؟ ولماذا يطلق لسانه في الناس؟ »

وأجيب الفئة الثانية

«إنه شيخ ودكتور وأفندي في وقت واحد وإن لسانه هو كالسيف في غمرة، وإنه يحسب الدكتور نفسه بأنه من الذين يميزون الناس بالشعور، ولقاء الله بالمثال، بدلاً من أن يأتي الناس بالمثال ويأتي الله بالشعور».

وأجيب الفئة الثالثة

وقد كتب إلينا أحد الأدباء في «فرنسا» يقول: إنه يكاد يموت من شدة الضحك كلما قال «الدكتور زكي» في مقالاته: إني حسان «فرنسا» كي ما أكتفي بسرد ما قال الكاتب، ومعترفاً بأن «الدكتور مبارك»

على إذا رأى سيدة تشرب منه مس في وجهها حتى على أنه حسنة تتنزل بجماله ، وما كان يدرى أنها الأربعون منه تتخرج عليه ! ويستطرد له مرتكن بجانب إحدى الصالات في مدينة « لكسمبورج » بالمجمع له فسبب إلى التفكير حبيب غريب

وإذا « بالدكتور زكي » يسطر تلك الملاحظة في كتابه « ذكريات باريس » عن طريقة ترسم الفتيات أن تلعب « باريس » كي يجين في مرآة وأس بمسطة في الشوارع »

ولكن ود « زكي مبارك » ماذا ؟

« أصاب الأستاذ « محمد علي الطاهر » في نقل الأسئلة . ولكنه لم يوفق في جميع الأجوبة . فطلب « وحلمها » عليها تصيبتها بما أتيحت « زكي مبارك » فكم وإن لم تحضره أعليس ذكرياتي في القلب . ومن ليس منها كا يوم صديقه القديم في « باريس » ، وإنما هو رجل طيب ، يأباه عليه الفلاح ثباته الغربي على الصباح ، وما أعجب غريبا لسطرت بها الفتاة « القاهرة » و « باريس » و « بغداد »

هذه بعض طرائف الفرنسية كما رواها الأستاذ « محمد علي الطاهر » ، وكما علق عليها « زكي مبارك » . ويبدو أكثر الطرافة والوضوح واضحة في الأسئلة والأجوبة . ويبدو الطرافة واضحة في رد « زكي مبارك »

وفي كتبه طرائف كثيرة في هذا الباب سطرتها الأقلام كما يقول

# أب وأبوة

ورأيناه في القصور الشامخة ، كيف عاش ، كي يبارك بين الناس قوياً ، مرهوب الجانب ، لا يخشى سورة السلطان ، ولا يحسب له حساباً في سبيل كلمة الحق ، ورأيناه كيف عاش في ميادين الأدب والنقد ، وكيف شيد أعلامه في سبيل اللغة صرح النقد الصحيح ، الذي لا يعرف المجاملة ولا الأغراض الشخصية . إن طريقه في الحياة كانت تعتمد على القوة والصراحة ، وهذا ما أراد يرسم لأبنائه طريقة تشبه طريقته ، ويعلمهم مبادئه منذ الصغر ، لكي يشعروا بها ويعتنقوها ليعيشوا أقوياء يحسب لهم حساب .

ومن كلماته في هذا الشأن يحدثنا « عندما يربي أطفاله » :

« أتروني أشكو على أطفالي ؟ . حياتهم ؟ . إنه يربيهم على ... حتى يربيهم على الحب والقسوة ، وحتى يعلمهم أن العالم لا يسود فيه غير الأقوياء ، فإن تسلحوا بالقوة فقد انتصروا ، وإن استسلموا للضعف فعليهم العفاء لعنة ، وإذا سمع بي الله ! .

ولقد عرفت أطفال أهل العلم في كل يوم تبدأوا على السوء والحيوان المفترس ، فإذا كانت عرسهم عند ذلك فعل الحنيه بجرى ، والعطف القديم والغفران ؟ »

ومن المحزن أن في هذا الكلام معنى وتهكما بكل من يريد أن يحيى حياة مرموقة في هذه الدنيا . هذه الدنيا التي تسحق الضعيف صاحب الرحمة ، عونه من الرحمن ، وتحتفل بالقوي وتعيش طالب بأنه .

ومن هذه النصيحة ثورة على أخلاق المجتمع، تلك الأخلاق السائدة بين الأفراد ، والشخص التام أضيع حظوظه حدوا ، ونصيبه من خير الناس ما يجده في الحياة وأصعب

أترى كيف يرضيهم ؟ إنهم لا يأبهون على شعرة الحيوان المفترس ، فلا يؤمنون بالأخلاق السائدة بين الناس ، تلك الأخلاق الفضيلة التي هي من صفات الضعفاء ، بل يرجمونها بالازدراء والتهكم ، ويصفون أهلها بصفة العبيد لا رحمة فيهم ولا هوادة .

والقوي الذي يصيبه الحياة بالترف الأسود ، هو الذي تحترمه المجتمع ، ويرحب عليه ، وأحب لنفسه المرء وجعل القوي سيد المواقف ، وجعل الضعيف المسالم على الصلوات ؟ . لا يعترف به المجتمع ليعيش على هامش الحياة ؟

وليس القصد من تلك النصيحة أن يصلح الإنسان بالقوة ضد بعضه الناس وبغائهم ، ولكن القصد أن يتسلح الإنسان بذلك السلاح الرهيب ليتقي ضربات الناس ويرد العدوان عنه ، وهذا السلاح يسمعه

الإنسان ، مادام المجتمع مريضا . ولكن إذا صح المجتمع وانتشرت الثقافة الصحيحة التي تنبعث من احترام الناس ، وعم الخير جميع طبقات المجتمع فليس هناك أي داع لاستعمال العنف والقسوة . لأن جميع أفراد المجتمع آنذاك يمتازون بالمروءة والكرامة بعد أن يزول عنهم ... هذا المجتمع الصالح هو الذي نطلبه الآن

ومن نصيحته ... لأولاده في حياته من عشرين وعشرات ، أن يحل نصيحته لكي يكون أبناؤه على علم بهذا المجتمع الذي هم مقبلون عليه ، وعلى أن يتركهم فلا يخفي عنهم ما في الحياة من أسرار فيواجهوها ، ويحيوا فيها سعداء منها

وأذكر حادثة جديرة بالذكر في هذا المقام . لقد رأيت صديقا في أحد الأيام مكروبا مهموما ، وعندما سألته عن السبب ، صرح لي بأنه لقن أبناءه الأخلاق الحسنة منذ الصغر ، ودفعهم على مكارم الأخلاق ، وعلمهم محبة الناس والإيمان بهم ، وكان يرجو لهم ما ... إلى الخير والصلاح . فلما كبروا خرجوا إلى هذا المجتمع وعندما وجدوا أنفسهم ... يكتشفون ما فيه من غرائب وألاعيب ، صارت ... بين الناس ومالهم من ... تلك التربية ... عظم ... من غدر الناس ما يجب من ... وعندها لام أباهم لأنه لم يخبرهم إلى ...

ذلك الاستقلال أعطاه أثراً في الفكر من القديم ، والتشيع لرد المحدثات
ومن الفكر الحر

ومع أنه [illegible] كان [illegible] ، [illegible] بالفكرة [illegible]
[illegible] ، [illegible] ومناظرة [illegible] الأسفار [illegible]
[illegible] ويرى في [illegible] اميال ،

« والثمر [illegible] إلى أن [illegible] أحسنها [illegible] واحدا في [illegible]
كتب [illegible] ، بل كان [illegible] [illegible] المصرف . [illegible]
[illegible] إلى [illegible] ، ثم [illegible] من [illegible]
أخذنا [illegible] إلى [illegible] [illegible] ، [illegible] لا [illegible]
[illegible] المطلق [illegible] لا يستطيع [illegible] في [illegible]
الحديث » ، وكان [illegible] في [illegible] ، [illegible] لا [illegible] يوما
[illegible] في [illegible] أن [illegible] [illegible] كلها [illegible]
وإخلاص . [illegible] إلى أن هذه الطريقة من طرق [illegible] في [illegible]
[illegible] أحسن [illegible] الإخلاص [illegible] ، [illegible]
[illegible] ، [illegible] على [illegible] والصور [illegible] .

[illegible] الأدبية [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible]
[illegible] ، [illegible] إلى [illegible] أخرى في [illegible] والكتابة
[illegible] أهل [illegible] — [illegible] [illegible] [illegible] آخر

لما علمهم ورباهم ووجههم نحو صالح الأمور . فلذلك نرى د. زكي مبارك وهو حافل بالواجبات ، تحدث دوما قائلا في الأوساط الأدبية ، ثم يراه في مجلة الرسالة ، يعطف على أبنائه ويحنو على رؤوسهم ويساعدهم ، فيتحول الأديب الثائر إلى أب عطوف ، يحنو على أبنائه حنان الحب والحنان ، ويخرج إلى واجباته الأبوية التي هي أسمى واجبات الإنسان في هذه الحياة

وإنه كان حريصا على مستقبلهم كل الحرص ، ويبذل كل غال ونفيس في سبيل تربيتهم وتعليمهم ، وقد بلغه — عندما كان في العراق — أن ابنه « سيبان » نشر مقالا في « جريدة المصباح » ، وهو ما يزال طالبا في المدرسة فيفرح ويرسل إلى صاحب الجريدة استجابة لأنه سمح له أن ينشر مقالا ، وهو ما يزال في مقاعد الدرس ، ومما قاله

« صديقي ! لقد نال ابنك وقوله أن ينتمي لطلب سياسي كتبه به مال مصري من طلابي ؛ وكأنه لم تكشف بالأرواح التي يحيها « المصباح » يوم وصوله إلى « بغداد »

وطلب في مقالتك ، احتفاله بأن ذلك حركة في الأدب والعلم والفكر والأسلوب والإدراك

هل تدري — أيها الصديق — كم حب المطالب أرجعني ؟ هل تعرف أنه ساءني أن أعرف أنك ستنشره كله عني ؟

وأما أنا فهو عندي ع ولا معترض أن الكتاب عنده يؤثر من الشكر والكد ، ويمكن أنظر إلى حصوره نظر الحرف والمزح . ولذلك يندرج إلى الشهرة ، ويصبح أكثر الشبان في هذا الجيل ، والذي به الفكرة تحت الشبان أيضح الشعور ، ولصرفهم عن التخلق بأخلاق الأطفال .

ومن الغريب أن يصل د. زكي مبارك ، على صاحب « الصباح » إلى المنة الضمرة ، لأنه نشر مقالا لا إنه . ومن الحق أن يشجع الطلبة على الكتابة والتأليف ، فقد قال في كتاب « البدائع » :

« وكان بعض زملائي يتهامسون حين يرون طالبا يرسل بصحيفة يومية أو أسبوعية ، وكنت طلاب الله أحمق الطلبة من وسط الصحف وأمرتهم إلى الميدان » .

وانتقل هذا الشعور من حال إلى حال ، من كتابة أساليب الحياة التي أتيح له أن يشغلها الطالب في حين درسه ويواجه ، إن يصوب له صاحب من الرسوب والتخلف عن زملائه ، والطلبة الذين يصيرون في الحركة الأدبية ، ويكونون في نفس الوقت من الأوائل في مدارسهم ، يتدرجون مراتبهم وهم من الثقة بحيث لا يدعون بهم سائر الطلبة . والرأي د. زكي مبارك ، مع إلى أنه لم يصل إلى حين هذا الآن ، ولا يرضيه أن يتعرض الرسوب بسبب الرأي ويده الشهرة الكتابية .

ويختم رسالته بهذه الكلمات ، التي تجد فيها حرصه الشديد على

مستقبل أبنائه ، ويعد فيها عرضة لحملهم من طوارق الأيام

« أما بعد ، فهذه قصيدة أقرضها في الأولاد ، ولو حملت الوزر على الملايين ، المطول في المشرقين والمغربين . وأنا مع ذلك أخشى أن يكون في من حملني وزره عجب

فإن صح رجائي في بعض أبنائي أو في جميع أبنائي فتلك منة من الله ، وإن خاب رجائي في بعض أبنائي أو في جميع أبنائي فتلك آية منة من الله ؟

لقد أوشكت الجبرية على جميع من عرفته من الفلاسفة ، فكيف يصل الحزن إلى قلبي عن طريق بعض الإخوان أو بعض الأبناء ؟ »

ولما كان ... لأبنائه كان ... قال ... اسم أبيه في كتاباته كثيرا ، وكان يحبه ويحترمه ... أحسن ... كتاب ... « صحب ابن أبي ربيعة » ، وهذه أبيات الإهداء :

متى لم أسرح في تمني رحلتي ... من بابك العالي لم من رأيك الحسن
ولست الليل في علم ولم أصب ... أبي ، حفظك عن قصدي ومن حسني
وأستعن لأجل النفس ما ... في الليالي لأمل المحتمل من ...
حتى جئت لهدي ... بأنه ... في وطني
فاليوم أهديك ما أجنيه من ... أبي على الزمن الباقي من الزمن

وختمه بقول أبيه ... مؤثر ... كله ...

وهنا نقرأ في الجزء الثاني من «البدائع» رسالة جديدة

«أي أخي لا أدري كيف يصح لك أن يجرح ... بعد أن رأيته تنفث الحب وحرارته ، حتى آلمك بين الأعراب ... التي لا تطلب وجه مثل وجهك لا تصلح ميدانا للأفراح والأحزان ... أما الذي يجري بمثله يا أخي من البؤس والنعيم ، ولقد رأيت بعيني كيف ... على وجهك ... وما أظن بعد اليوم إن عرفت مثل الدنيا من يعرف بربك !

أي ... أيسرك أن ترى أن مرتك أمر لي بعض الشفع ؟ لقد أكسبتني تجارب الزمان لا تؤذيني إلا آلاما قد ذقت ، واليوم قد عرفته من الحزن ما تحمل الأيام ما تحمل ، فسألني عن ... الشعر بقلب أشقى من ... ، وأعنف من كيد الزمان ».

ويرد به ... أيليق أن يذكرها بالجليل ومن كلامه فيه :

«ويسرني أن أجمل أطفال ... الملاحة التي ... وجماليا ، فمنعته ... من الهموم التي ... الرجال ».

وهكذا عهد الأديب رغم متاعبه الكثيرة لا يفسر أمس ... الاخلاء يربيه أحاته ويحرص على مصالحهم ... كل ... لهم ، ليغفأوا ... الرجال ...

الأجيال ، فيستفيد منهم الوطن ويفخر بهم الأمة .

ولقد كان « زكي مبارك » بالرغم من مشاغباته عذب الروح كتلة من إخلاص وحب وحنان ، وعاطفة متدفقة ، كما نرى ذلك واضحا في كتبه ومقالاته الكثيرة .

## وفاء نادر المثال

لقد تحرك سلوكه ، يتصف بالإحساس المرهف . وقد ظهر على الطبيب في آرائه في الجدال في كثير من كتبه ومقالاته . وكان كذلك يتصف بالحب والإخلاص والوفاء . ومن دلائل الوفاء كثيرة في كتبه ، وكان يذكر أصحابه في كل مناسبة ، ويأسف من فقد بعضهم بسبب [illegible] أو المصلحة العامة . ولقد كان دائماً يضرب المثل بين الوفاء وبين الزملاء والأصدقاء . كان كثير الحنين إلى ذكرياته التي قضاها مع أصحابه ومعارفه ، ويذكرها بكثير من الشوق ورقة القلب .

ومن حسناته في عالم الوفاء وفاؤه لمعظم أصدقائه الذين يودعون هذا العالم ويمضي دون أن يذكرهم الناس ، والشواهد كثيرة على هذا الوفاء العظيم . فكم رأيناه يرثي هؤلاء الذين صحبوا برفقتهم على حين لا يذكرهم أحد من أقاربهم وأصدقائهم ! . أما هو فيذكرهم ويرثيهم بالحسرة والتفجع ، ويتمثل هذه الظاهرة في كتاب « صحبة الشريف من رجاله الشريف » [illegible] من الناس .

فما أشبه الشطر [illegible] الذي تختتم بها هذا [illegible] المشهورين ؟ وعلى كل المشهورين أصحاب من ... حتى ... حليهم الواضح المشهور و ... ؟

أو رجل حرمته الطبيعة أسباب الفوز في ميادين الحياة الماضية — الأدبية والسياسية — ثم رمته على جسم ولسان لا يبين؟ — أو رجل عامل الذكر مغمور الشأن يجهل عليه ضعف أوامره وقلب حنان؟

أو امرأة أبية لا تعرف غير شرف البيت ، ثم فقد زوجها بأوجاع من الشدة والفترة لا تقدر على مثلها الفكرة في المسرورين؟!

إن العدالة لها منابع هي منابع العرفان ، والرجل العالم لا يستطيع إلا حين يرجع إلى النفس الأولى ، فطرة الإنسان الحساس .

فلا تقرأ «العرب» إنتقاد وأنصره برق ناب لا يسمع مقامه الاجتماعي بذكر أسمائهم في الجرائد؟ فتلك روح فطرية لا تصدر إلا عن كرام الرجال!

هذه المكافآت تعطل موقفه من ... الذين لا يذكرهم أحد ، ليطرح ... فيذكرهم ، ويرثيهم ، ويترجم لمآثرهم .

رأيته المطلع في أحد الأيام عندما كان في باريس ، على خبر انتحار شاب مصري ، وكان هذا الشاب من تلاميذه ، تخرج في كلية الآداب ، وكان شاعرا مرهف الإحساس قرأ الخبر في جريدة الصباح ، المصرية ورأى صفحات تعبير الإنسان قال

«لا أدري كيف مال إلى أن أتأمل الصفحة التي نشر بها هذا الخبر من جريدة الصباح ، فقد رأيت بجانبه في الصفحة نفسها إعلانا عن حفلة

بافتتاح موسم الموسيقى والطرب ، ورحــــلاته آخر حياته ، من رحلة بينها حيلا ، وكذلك تبدو أمامي مناظر السمـــاء سطحه يحاورها بنقاء ويرى بصائره تسيم وأمامها [illegible] يقظة الموت . . .

لم يخرج في آخر المقال .

ولا يزال يمثل أمامي ، أحمد العاصي ، يوم رأيته أول مرة في أوائل سنة ١٩٢٦ م ، ويوم رأيته آخر مرة في أوائل الربيع الماضي ، وأنه في عالم الأرواح أهدي هذه الكلمة ربما كان ينتظرها مني ، ولكن أمر من رأى رداءه حلة ، ولكنه ولد كان رحمه الله من الأدب الأبرار !! .

ولقد كان مثاله من هذا الشباب بالنا ، تمثل فيه من حياته وشعره وظروفه الخاصة التي أودت به وهو في ربيع الحياة حتى أنه لم يحظر هذا الرثاء ، ولكن ، ولكن حين تحمل على الرثاء وخطر على الحزن لمن يعرف من الناس ، فإنه يبقى ، من الأوفياء المخلصين

وبعد مرة [illegible] من الصحف العراقية وجدته تصحيحها وجد صورة مكسورة في كل سنة [illegible] أحد العراقيين [illegible] إبراهيم على الشعر ، فقال : عرفت أنه حيث ، وهل هم البرد في يوم واحد يبصر صورة الأديب إلا حين تموت ؟ .

وكتب عنه كلمة في «مجلة الرسالة» بين فيها منزلة الأديب ،
والذكريات التي ربطته به منذ ما كان في «بغداد» وأبدى حزنه لفراقه
ومن قوله «... هو أنس ... ولن يعود وإني لفقده لحزين أسمى الله
عن آل فقيد ... ورائهم» .

وفي ديوان «أغاني الخلود» ... وجع رأيت للعب الظريفة
الشباب في ربيع الشباب «أحمد رشدي» ... ؟ يقول
«وكل مبارك إنه كلمة ... وإن صديقه «محمد عبد الرحمن»
... مطبعة دار الكتب المصرية ...

«إن «أحمد رشدي» لم يكن يخطر في أن له في ... الجناح»
... قبل أن تكون له ... أدبية يرى الجمهور أثرا جديرا بالرثاء ،
هل كان يجب أن تكون ... لأرثيك ؟ ... «رشدي» ،
أديب غير تلك الآداب» .

لقد رثاه بعد ... قصيدة ... من «رشدي» ...

لا كرمت «رشدي» ... ولي ... كالنسل في ...
لقد ... من ... فأعقبت ... و...
أفي كل يوم ... تسيب ... الأسرى ... إلى ...
لقد عجزت عن ... كلها ... فلم ... السهد
ولكنها ... ...

# سر الروح الحزين

يسرد كاتب مرحلة مباركة، مرحلة من الأسى والألم، وكلمة حطم
كتب بالحزن والحنين، وكيف أنه قد عاش بعيداً عن عائلته طويلاً في
الرجوع والذكرى. إن هذا الحزن أصلاً رجع إلى أيام الطفولة، وقد
سيل الكلام عن عائلته الحزينة، وكيف تأثر بالحزن الذي عاش فيه
وزاد حزنه عندما تم تهجيره للخروج إلى منفى في قلب لندن الضبابية، والتي
آل بها أن أصبحت يكتب عليها أرض منسية، وأصابته الأيام بأحزانه
حراً على حرام، وأصبح قلبه يحمل سيل الخيبة دون نهاية، وصار
يعيش الأحزان في أسرته بسبب حرمانه الأيام وما بها من البؤس

وعندما بلغ جميع الرجال رأى المجتمع هو المجتمع الذي رسم له
صورة في حياته، كان شاعراً مرهف الإحساس طال الناس أجمعين في
ظل رحمته، إلا أن الحب والشعر ويشجعهم الخاطر على مسيرته
ومعاناته. كان يجب أن يحقق الذي كتب عنه في الرحلة عبر الخلق السابق
في جميع أفراد المجتمع، ولكن المراحل كلها رافقها الملاحقة أمامه
بالناس. وأخذ تجربة أدلته تحمل على المجتمع وأخلاقه حلاً مستمراً
ومحنة الكاتب بالتصالح بسلاح القرار والحمرة، لكن يحمل من هموم
الطالب عقولنا من الناس

وإلى هذه المشاهدات الأليمة في نفسه يضاف غيرها مع كثيرين
من تلاميذ المسيح منها يأتي بالحسرة والشفقة

ورسم الأيام المسيح من أهل الشر ، ولقد صحب كلمة مرمى في
طبيعته وصحب المتقلل في دوائر المعارف وحول النوح لأن أصحاب
محبة رحمها الله ، ونكتة ما ينبغي لأصحاب من يهتم في عمل سائل ولو
حزنه وحال بهذا القرب من العمل ، وأخذ في التفكير والآلام

كل هذه الأسباب كان لها حظها من الحزن في نفسه بحيث يرى تلك المشاهد
المؤثرة ماثلة في كثير من كتاباته ، وصار الحزن عنده فلسفة يطرب لها ،
والحزن ليس مصدر ضعف ، كما يزعم الناس ، وإنما هو مصدر
قوة على الشعور بما قلناه من الناس ومن الأشياء
والحزن مصدر من مصادر الرقة ، وأبلغ أنواع الحزن هو الإنسان

ويرى الرافعي أن الحزن الذي ينبعث من النفع الرؤى في أعماق النفس
الإنسانية ، هو الحزن الذي يصدر عن آلام المسيح وآلامه ، هو
الحزن الذي يختلط بمعنى حنان المسيحيين والمؤمنين

والإنسان الذي يتم فيه مثل هذا الحزن يرتفع في خلق سمو فيها
من الشعر والأدب والفنون، إلى صفاته العلوية الملائمة للإبداع، وإلى صفة
الخلق الجمال والإبداع

أما الحزن المطلق الملازم حزن عارض يجد النفس ، ويغلب الإحساس

ويبك الشعر ، ويقضي على صاحبه ! وقد كان حريا بزكي مبارك ،
من أجل ذلك ، أن ألف كثيرا من الكتب ، وحفظ كثيرا من القصائد
المحببة إليه ومن كتاباته في خاطره القارئ

« إليك أيها القارئ أخص أحوالي وأفكاري ، وما في قلبي انطلاقة على
جبال من ملل الهوى للشرق والغرب لأنك لم تر حريرا كما فكرت وترجمته
من ماضيهم كما ترجمته وماهو من شعر الأصفياء والزملاء بعض الذي
لقاني ، فأنا لا أفكر في ذكرى الزمان ، وإن كنت أقل المفكرين شعر
الزمان »

لم يفكر زكي مبارك ، في الشعر ، ولكنه استطاع على أثر ذلك من
الإمتاع بالشعر في عهد الشباب لبروح القصائد وأبدع الأشعار ولكن
زكي مبارك ، بما أوتي من أسلوب مبتكر في النثر — استطاع أن يحول
الشكوى في الشعر إلى النثر بصورة جميلة للطرب وللنفس

ومواقفه أحواله كثيرة ، في كل يوم له خطاب جديد ، وفي كل ساعة
له حديث موجز ، فتارة يفكر بعيون الأصدقاء ، وتارة يفكر في غدر الزمان ،
وطورا يفكر من طول الإقامة ، وطورا يضيع بعض الأيام

وربما أكثر ما يميز كتب المشرق فقد كانت صحيفة الكتابة تنكر
في كتاباته عودة من الفرحة والأسى وكأن بهم الجميع ويهم للسرقين
بالشوق ويرى كتب العشاق في كتاباته ويصعب فيه بالأدب الظلوم

أو الشاعر المظلوم ويمر بي كله في كل وقت وآن ومن كلماته

« ليلي! كيف أصبحت وكيف أمسيت؟ فما عدت أسمع

بمحراك في صباح ولا مساء! عجبا للناس نيام فكأنهم كرهوا

مجالسك. إنهم يسهرون من الفجر إلى الغروب ثم ينامون وأنت

بالتي تسهر لياله ونهاره، وأحملي أن تسهر ومعرك، وسيلطفني صيحم

الناس بعد أسابيع حين يبين العيد، وتبقى وحدك بلا عيد. »

وخاطب الصحراء يقول:

« أيها الصحراء. إن حالك مثل حالي ميت في موضعه، وإنه

تفرح لرؤى تلك الليبة عوام وحشرته وطرق ترى قلبي الليبة ترح

عوام وحشرته هي السخرية من الناس، واليأس من صلاح القلوب،

ومحال الرجوع. وإنه رأى حوالينك بالحدى أو النهي فتلبسه ترى تلك

الأحساب! أما قلبي فقد أصل إلى الأبد ولن يتسع فيه شيء، وأقل

الناس من يعيش بقلب أجدب من الصحراء. »

وخاطب الليل فيقول:

« أيها الليل! هل رأيت في ديالك من جاءست في ظلماتها

قلبي؟ هل عرفت سيد أجيالك والجبال سفلا مثل شقائي؟

الليل عند السواد من قلبي، وإني أعرف كذا السواد عند الظلام من عقلي

إن أمورك الظلام! أيها الليل! لا تخرج من الدولة ماما

أسامرك وأناجيك لاتفرغ من الوحدة في ظلمات تسير
ما تحمل من ظلمات عندي آلامي وحنك الآمنة وجريح بائس
بالجريح بالليل . .

وإن من أثر هذا الروح الحزين مسحة في كثير من كتاباته للحيوان الجريح في سطوره . والتي يحب فيه الشعور بالليل سرا وظلاما لا يزول

إن هذه الأحزان هي التي جعلته أديبه يحب الليل والأحزان ، بعد أن تعرف من حال إلى حال ، فقد كانت أحزانه مصدر قوة ، فأصبح مصدر عطف ورحمة .

وقد كانت أحزانه منه جيش زاخر من الأدب والفن ، فأصبح يستمد من الأدب الرفيع والفن الراقي ، إن هذه الأحزان التي دفعته إلى الإبداع فصار من كتاب الطليعة في قصيدة الأحزان ، التي تقصد عليه ويصلها الأستاذ محمد رجب البيومي ، يكتب في رثاء ذكر مبارك جدة وجهرا ، ليعود

ولم يكن كذا الأسف إذ فقيد ذكر ، ولا يزال من حياته بعد أن في الرسالة ، حياته الآن في آخر المصرف ، وقد كان له النقد المشرق البهيج .

تلك الأحزان القراكة التي عرفت في حياته في صدره من التي قرأه وتحدث عليه

# ألحان الخلود

من تأليف الدكتور زكي مبارك ، ويبدو أنه تعلم بالطبع والبلاغة ، وقد نظم الشعر وأمي به وهو في ربيع الحياة وأرسل أغانيه الندية تدوي في مواكب الحب والجمال ، منذ أن رزق القدرة على نظم الشعر ، وأشعاره في القالب الأعم تلتمس في الغزل والنسيب . ولا غرابة في ذلك فقد فطر على الحب ، واستهواه الجمال وهو في مطلع الشباب في مسقط رأسه « سنتريس » .

صدر ديوانه الأول وبه مختارات من الشعر والنثر . وقد استقبله النقاد استقبالا حافلا ، ورحبت به الصحافة العربية أحسن ترحيب . وقالت عنه مجلة « أبولو » المصرية التي كان يصدرها الدكتور « أحمد زكي أبو شادي » :

« الدكتور زكي مبارك ، شاعر فنان بطبعه ، فلسفته فلسفة كمونية المعروف خلاله . وشعره يحوم حول العاطفة ويختار من صورها أكانت عاطفة جنسية أم وطنية . ولو هو شاعر نا عرف بعاطفته الوطنية خلال ظل حضورها في صميمه الفني . فكان منه دعوة شعرية على مدى الزمن . وشعر ديوانه صورة شتى من عواطفه . وخواطره هي مرآة

نفسيته ونظراته إلى الحيـــاة ، وهو أمين بفطرته في تصوير نفسه بهذا الشعر جميعه ، وكل من يتصفح الديوان المطبوع في الجميع يقرأ آثار شاعر عاش حياته في العصبة الخالدة التي لا يخلو منها أي جيل والتي تستحكم جوانبها الإثارة والتضليل .

ومن المعروف أن « جماعة أبولو » كانت جماعة الشعر وكانت تهدف لإيجاد مدرسة شعرية تسمو بالشعر العربي الحديث إلى مصاف الآداب العالمية وكانت تقدم إلى القراء نماذج حية من روائع الشعر العربي وهذا الشاهد الذي اتخذناه مثالاً ، دليل واضح على شاعرية زكي مبارك ، وجودة شعره ، كما هو دليل واضح على مكانته الممتازة التي يتمتع بها بين الشعراء المجيدين .

كان زكي مبارك في مطلع حياته الأدبية ينظم طوال القصائد ، ولم يبلغ إحداها مئات الأبيات ، ولكنه في هذا الأسلوب ، شأنه شأن المتقدمين أمثال ... عبد الرحمن ... فقد رسم له الشعراء دلالة على الطريقة المثلى التي يجب أن يجلس ليكتب شعره على الأيام ، وبعد أن كان القراء يعرضون له القصائد الطوال ، إذ جاءهم بمقطوعات قصيرة ، وأحس في الاختصار ... بعنوان « ظلام الليل » ... ورغبته ...

ومن على الليل ... كريم ... النسيم

من أنه غزل حي ، ولكنه غزل معتد يجود شعره ، ويجد فيه من
الضرائب التي كانت بالغة مصائبه الطويلة السابقة

ويعظم مصائبه الأولى مجموعات قصيرة ، ولكنه يضع فيها ما يختلج
في قلبه من لواعج الغزل والحنين في ذلك هذه المقطوعة

وبينه صدها المسلاوى — من الآسي والحنين
ولم تقدها بحد سلوى — غير الحسرى والشجون
فكيف لصدر جسانى — من الهوى والفتون ؟
أم كيف ترجى خسانى — من ساجيات الجفون ؟

ومنه المقطوعة :

قد صدوا كما صدوا — فوصل ندمهم كما عذب
ركبنا الوجد عند هجرهم — فأطير الدمع ما كتمنا
وعيب روحي وقلبي معنا — في عشقهم وما رحمنا
ما ازددت حرقة على فؤادي — إلا ودادهم وحبي رأسا
فقلبي قسى على جفاكم — وما ترحمتم على بثنا
لو كنت احكم الورى لصحم — على وجد ورأى حزنا
وغاب عني حول ما تراه — فقد جرانا الورى وديا

ومنه المقطوعة

يا أيها الغائب الجميل سلام — من أسير عندنا بجفا كا

كيف أسلوتني من الهجر ثلاثا | وحرمت العيون من أن تراكا
ليت من شاء أن يطول أساها | في سبيل الهوى أطال ... ساكا

ويقول في القطر :

أيجبني أبي القمر | هل المساكين جاره
الأشي الحجر ... | به جنباك من وجد ؟ ..
وارحم الشمس حمدا | وما طواك من جد ؟
والصبح بالورد وردا | وترى سائغ الورد ؟ .
وأرمى بالقطر ... | ووجنتك حبة الخد ؟ ..

وتضم هذه المقطوعة حديث الهوى :

قالوا حبيب قتلته كم من فتنة | لم تلق بي سكنة ...
إن الذي خلق الملاحة لم يشأ | إلا قتالا في الهوى وهلاك

وربما نظم في أغراض أخرى غير الغزل والتشبيب ، ولكنه كما يبدو يحس في الهجر أو الهوى أن الحبيب بعيد عنه من الناس ، يقال بعنوان « أيام الشباب » :

ولم أر كالمشتاق ... بالأسى | ومظهر منها ... عيون
وما كل من النفس إلا عذابها | ولكن لأيام الشباب شجون

ويقول ، وكم يبارك من نفسه ، كان صاحب الديوان من المثقفين يوم كان طالبا ، وكان يرى كل شيء ... ، ومن شعره في هذا الموضوع

وما لي أسام الهلا عن الهوى إنما | فترحل غرباً وتعهد ثاويا
صرفت فؤادي الشاعرين عن الهلا | وأبدعتهم يأس من الجهل طالبا
لقد كنت عهد مجدي أجمر الذي | موادع ... وأصبح سالبه
ومن لم ينل حظ المعيشة حظه | من المجد لم يشبع له المجد ثانيا

أما هذه المقطوعة القصيرة التي ما ذكرناه من بيان الاختصار في نظم الشعر، ولذا تتجاوز بعض أساليبه الثلاثين بيتا، ولكن الإيجاز يغلب على أكثر أساليبه.

والسبب في هذا الإيجاز هو عدم تفرغه للشعر، فقد اشتغل بالأعمال الإدارية والقضائية أكثر أوقاته وصرفته عن نظم الشعر، فإن وجد في نفسه ميلاً إلى نظم الشعر ولم يستطع كبت هذا الميل، أخذ ينظم تلك المقطوعات التي أشرنا إليها. أما القصائد الطوال فهي تحتاج إلى وقت طويل وجهد متصل، ولذا كان أغلبه منصب على أعماله وكتبه الكثيرة.

وقد قدر الله أن يذهب إلى ... بلده، ومن ذلك مارية الحنين لنظم الشعر، فاستخرج نفسه بقصيدة طويلة فيها أكثر من مائة بيت، ومنها قال فيها:

فيا ذاهب من بيته لم أكن لاهيا | أ أقل أيامي بليل وخليله
فكيف وصحي اليوم في سر حقبة | مسكنة بالسحر ... [illegible]
أصحون صحونا بحي والقرى | يبيع الحياة في خوادي وأصحابي
وأشهد أطياف الفردوس إن هذه | وأروي أحلامي ... وأحرقي

أبغداد، هل تدرين أني مودع ... وقلبي ... [illegible]
أبغداد، هذا آخر العهد فاذكري ... مطوي على الحب [illegible]
أبغداد، حسبي فراقك فاذكري ... لدى [illegible] الدرب [illegible]
[illegible] على العهد [illegible] فاقضي ... [illegible] في [illegible]

إن هذه القصيدة أصبحت ملأى الشعر، وجملة يجاوز نظم القصائد الطوال، ولم يخرج الشعر [illegible] وجوده، لأنه اشترك في تحرير مجلة «الرسالة» عددا من السنين، وعمله في «الرسالة» كان منحصرا في خلق المعارك الأدبية وكتابة موضوع، [illegible] ذو شجون، ولكنه كان في بعض الأوقات يحضر القصائد الطوال التي تبلغ بعضها [illegible] من الأبيات [illegible]، كقصيدة «مصر الجديدة»، وعندما [illegible] «الإسكندرية» [illegible] القنابل في الحرب العالمية الثانية نظم قصيدة «دار [illegible]» في حدود مائة وخمسين بيتا، وآخر قصيدة نشرها في الرسالة كانت بعنوان «[illegible] يوم الثلاثاء».

وبعد أن ترك «الرسالة» انصرف لنظم الشعر فأخذ يطلع على القراء بقصائده الطويلة [illegible] ولقد [illegible] «الأمريكيين».

وهذه المقتطفات في حد ذاتها لا بأس بها، بل قد تكون ضرورية في أكثر الأحيان، ولو أنها خالية من الشعر والنثر [illegible] كل [illegible]

لوم وتأديب . ولكن الشاعر هاجم أيضاً كثيراً من الشخصيات هجوماً مقذعاً . وكان قد أرضاها بالخير في السابق . ومرد هذا إلى هذه الحملة التي وصل إليها بسبب شعوره بالظلم والحرمان .

وفي سنة ١٩٤٧ م أصدر ديوانه الثاني باسم « ألحان السعد » ، جمع فيه كل ما نظمه من القصائد مع مقتطفات الغربة ، وضم إلى الديوان الجديد ديوانه القديم الذي ورد ذكره منذ قليل . والديوان الجديد مختلف النظر بقصائد الغربة ، خلافاً للديوان السابق الذي كان يضم مختصراً منها ، أكثرها في الحب والشكوى والتشبيب .

وما الديوان الجديد حافل بقصائد الشكوى والتشبيب ، وحافل بقصائد الترجيع والأنين . والحزن له خصيصة أصيلة ، ويقول هو :

« إن الحزن يتموج ملتهباً في كل قصائد هذا الديوان ، وهو حزن أصيل . إنه حزن لم تكن لي فيه إرادة ، وإنما هو رد فعل لحياته المشحونة بكل ما يحمل الإنسان من آلام التجارب » .

وليس في الديوان مدح لأحد من المسئولين ، وكيف يكون ذلك وهو لم يلق منهم إلا الجحود ، ولقد عاش أكثر حياته في الحرمان شعراً وغناءً حتى تعرض للفصل من وظيفته كما مر بنا ، ويقول هو : وليس في الشعر مديح ، فلست أعرف رجلاً أعظم من الله فيه مسالك المديح .

وكلمته الأخيرة عنه تصور [illegible] بين تصوير [illegible] زكي مبارك ، الكاتب الشاعر الذي هاجم الأحياء وعاب الموتى ، لا يرى أحداً جديراً بالمدح [illegible] بعد أن [illegible] إساءة الناس بالأخلاق الإنسانية الراقية ، وأصبح النفاق والملق والغش من الأخلاق السائدة في المجتمع ، — فهذا لم ير رجلا أعظم منه ليمدحه بكلمة المديح

وقد قرأت مقالا للأستاذ أحمد الجندي في مجلة الثقافة عن زكي مبارك ، ذكر فيه أن السياسة استخدمت الأقلام في الحرب الماضية لكتابة لأغراض معينة ، ولم يستطع استخدام قلم زكي مبارك ، لأنه كان وطنيا مخلصا يفضل الحرمان على الكسب الرخيص ، وهذه مكرمة تسجل في سيرة زكي مبارك ، بالحمد والفخار

ويرى زكي مبارك ، أنه جاهد [illegible] العمر بعد أن ملأ الوطن من كتبه الممتعة إذ يقول

ومن يستطيع [illegible] أن يكتب [illegible] الديوان ، في تاريخ اللغة العربية — في تاريخ [illegible] أغلى [illegible] ، أو [illegible] أنفع من بياني

قال الدكتور محمد صبري السوربوني في [illegible] الشعر [illegible] ديباجة تصرح ومن كله يريد به الحق والمكي عند [illegible] البحتري ، والشعر من جميع الشعراء لأني ملك الشعراء .

ويقول في مكان آخر

« وأنا مع هذا لا أظلم نفسي رغبة في سماع النائحين على القيصرية

القصرية لم يبق لها سبيل في الشعر الحديث

قال الفرزدق : يروى له ... يكون له نظم جيد من الشعر أصعب من

قلع الضرس ... ما للفرزجب هذا الشناء ، بأي « الفرزدق » ؟ ... إن

أشعارك كلها لا تساوي هذا الجهد

لقد ... صيدنا كما ... صيدتم ... فرسل تدشر ... لا ... يحسب

وأحاول أن ... أركى مبارك ، يعرف جيد أنه يبالغ في ... على نفسه ،

فلعله يريد ... صراحة في مكانه ... من الديوان ... ولا أبا

ولا ... من أمثال ... إلى ... أبي تمام البحترية ،

ويقول في مقدمة الديوان

« إنه يرى القارئ هنا شعرا في ... ، ويسأل عن السر في

الإبقاء على هذا ... الضعيف ... أن ذلك ... يكفل السرور

... إنه ... فالشعر ... في إقامة آمال الباقي

« ... الشاعر المصري ... عن الأبيات ... في

القصائد ... فقال ... الشجرة ... في ... على

أغصان ... ، ... الديوان ... لا ... العدد ،

لأنها في غاية من ... ، ... عليها ، لأرى ... الخطرات

الأدب من حياة الشعر به .

أن هذا الكلام من قوله السابق ، وأن يستطيع كلك مستحدثا أن يكتب شعرا و عند هذا الديوان ، إنه في الواقع يعتقد تبعت عن توصيل بعض الشعراء الذين يلاحظون هذه الظواهر عنده في قصائده . والذي أشرف بأنه لا مر ولا أعرف من أخطائه يصلون إلى منزلة في الشعر بعد أن كان إنه ملك الشعر . ويمكث الله في تناقض واضح ، وهذا ما ينبع من قراء الديوان كما صرح الشاعر نفسه

إن قصائده في ديوان أغاني الخلود على وتيرة واحدة ، أكثرها في الغزل والتشبيب ، وهو يكرر المعنى في كل قصيدة ، لذلك فإن الباحث يتعب إذا أراد أن يحلل شعره بالمعنى المعروف ، ويعتمد على الألفاظ أكثر اعتماده ، وتسيطر النغمة الموسيقية على شعره يكثر من استعمالها

وأرى — إتماما للبحث — أن أدلل بأمثلة من شعره تحت عنوان « إلى الخلود » إلى أغاني الخلود ، من قصيدة بعنوان « إلى أجمل جمال » وهي تبلغ مائة وخمسة أبيات :

| | |
|---|---|
| ولا جمالك تسبي غرائبه | ما للفضل الصبر والصبر ما أرقاني |
| هذا الجمال على ورد من سامره | هذا من اجمل الشعر ، فإني |
| قد أرسل الحب في دواليه | هوى جموح الأرواح وأفناني |
| في جمالك وهو البدر في سنى | كالشعر ينظم أنغاما بأوزاني |

جلال وجهك في قسمه بك    كأنه بجد مسعى عـــزلن

قال المطرب ويشجوي معالمهم    وعمر سوى باطفال وأطفال

فهم بمصر وسكنوا من خلالهم    فسا النيل الهوى قلب عيان

أكان إذا تجاوزوا أن أكرى فى    المحسن في عمر ما أو جار بسطان ؟

لا تسألوا أين شرق ، فذلكم هو    في قلم من أنه يوما طيعان

إلى محدث حيا مأمن في    أين الذي ساله عنان ؟ .

وله قصيدة أخرى قصيدة مصر الجديدة تشتمل أكثر من مائة وستين بيتا تحدث فيها عن جمال « مصر الجديدة » ، وتحدث طويلا عن الحب والهيام وحاجب يبيب أحباء ، وقال في مقدمتها « حديثه » الأستاذ الرافعي ، إني سأنشر قصيدة أخرى في جميع الشعر ، وأقرب إليه هذه الوصف لم يخطر في البال وأنا أنظم هذه القصيدة ، فقد أرحته رسالة لا تخطر على النفس إلا في أندى الأحاديث ، فجاء كأنه يراه إلهاما من الأشواق الشراعت بالقلب والوجدان .

وله أبيات جيدة في هذه القصيدة نستطيع منها الأبيات

أمسا في حملت في بلادي وأملي    زماني فأولاني من الذكر ساودها

إذا قلت يلم الشمس إلى مسددي    ساكن بالأرض والأرض والرعد

وإني لمسرور حين إلى الصبر حددي    عن الصبر أكرم حبي عن الجند

فلا نوى طب أو نوه نسبها    جزافا يحمل الروح الوطن الفرد

في ليلى حظًا من جمال سوى الذي ... يمد به أهل الوشاية والكيد
بلادي بلادي النفس أنت؟ إنني ... أبرح حب الصبا منت بالشهد
أساهر في حبي، كسال ولا أري ... التمس حظ النائم بين حلو الفرد
بلادي من جسم جلبت نحر لكه ... سواى إلى رحمة من الحوش مرتد
لئن كان في قلب سماك لرفي ... يشرح الذي رددت في الشعر من قد
ستمحى الليال ثم تمضي ولا أرى ... جلالك أولى من قراني ولا وجدي
لو حسدتك مقبور الحال بحسرة ... ولا الحبية بادي وبقيهم زادي
لو حسدتني لاحسل أبعد اشكائي ... إليه ولا حب يزوله سهدى
إذا أدى الدهر القديم صعرا ... تحرك أمره إلى عصبة في

وتعرضت الإسكندرية إلى الغارات الجوية في الحرب العالمية الثانية، فنظم القصيدة بعنف وقل ماله وهيج بها وقال في الدنيا

«وماش» «طرفي» إلى أبي شهد ماتاني «الإسكندرية» من كروبه وعذوب فراستها بأطايب الشعر البليغ فأمل وروحه في دار الخلود أهدى هذا القصيد، وقد جاء في هذه القصيدة

يا أهل إسكندرية مصر ماني ... من الأرزاء النفس الصاب
عروس البحر ماعدى الروابا ... غضب عن سماك بلا حساب
مصمى حديث سكبهم فأمسى ... فؤادى في انصداع واشعاب
فيا آثام اعوا ماقسم، حتى ... يلن عليهم وبل العذاب؟

حصحصت رمي إلى الأرياف منهم — حتى الأسد من غاب لغاب
أمن بعد الخطاة أمانٌ — يكون بباطنهم من التراب ؟
إلى جدرانهم في قصيف كانت — ومن أعتاب الحسن اللباب
وإلى طرقاتهم كان التنادي — إلى الصبوات في لفظ الرباب
فكيف حصوا حين لم يوروا — إلى راء يمد ولا إياب
وكيف قضوا بعد الصيف صرعى — المترع الفتان والاكتئاب

وله قصيدة بعنوان «الوئام الجديد» ، وهي تقع في أكثر من مائة بيت ، والقافية فيها تتغير في كل بيتين ، ومما جاء فيها

عصرتك راح فرأس — من وقدات الجدود
وكانت مثل صحابي — من أصعدن قيود

— —

لولا خيالي وشعري — لمحته روح الوجود
لولا بيان ودري — لضاع سر الخلود

———

أنا الحس قريب — من القلوب القريبة
أنا الفاسقم حبيب — إلى الصدور الرحيبة

الكون مالكون قل لي — مجمع الكائنات
هل كان إلا مريب — الأخير صنعت ؟
إن كان في الناس جرم — وأوه مساقل الشهد

يمس مستعراً قلبي بالروح الهب ذكاه

ويقول في قصيدة « غرام يوم الثلاثاء » وهي قصيدة طويلة ، متعددة الأوزان والقوافي

يا غرام الروح والروح فداه
أين مجرى القلب في عهد الصبا
أحرق القلب غراماً من رآه
بالهوى قل من حي يوم الغد ؟! . .

أين يا روح ليالٍ سلفت     وأطلقتك يا صباح وادى !
لا تقل تلك الليالي ذهبت     عرفنا للقلوب حال في فؤادي

إن مثل القصيدة يحسب الشاعر — أي شاعر — ويصل أعلى لانه قبل أن يبلغ النهاية ، فكيف بشاعر ، زكي مبارك ، الذي يبلغ أعلاها مائة وثمانين من الأبيات

إنه من حريق هذا الشعر الكثير لحسل منه في ديوان مستقل بذاته الشعر مطلق الأديب ويتكرس له الأدباء في كل مكان

## حصائد المطابع

لابد للإنسان من ضجعة — لا تقلب المضجع عن جنبه
ينسى بها ما كان من عجبه — وما أذاق الموت من كربه
نحن بنو الموتى فما بالنا — نعاف ما لابد من شربه
تبخل أيدينا بأرواحنا — على زمان هن من كسبه
يموت راعي الضأن في جهله — ميتة جالينوس في طبه

« المتنبي »

من كان يصدق أن « زكي مبارك » الذي اشتهر بالجد والكفاح والعمل المتواصل يصاب بمثل الفتور ، فلا يتكرر إلا على السانحة ونهش الذاكرة ، كما يفعل « الرافعي » ، وإن كتب فكتاباته تخالف ما عهده القراء منه من جرأة وإتقان وغزارة ؟

من كان يصدق أن هـذا الناقد المناضل الذي مرت أخباره في الفصول السابقة ، يترك النقد الصحيح ويهاجم الأشخاص قبل أن يهاجم آثارهم ، ويطرح الفهم في الأدب والنقد !

من كان يصدق أن هـذا الأديب الذي ملأ الميادين الأدبية وشغل المحافل الثقافية ، يتجزى فلا يكتب إلا مقالات الكاتب الشخصية ،

وسوءات المجتمع التافه التي لا تحس بعبقرية الأديب الرفيع ؟ لقد أسف الشرقاوي أشد الأسف لتخليه عن كتاب المقالة وكانوا يعتبرونه لفن الأصيل ، ويعتبرونه [illegible] المعارف والشعور الباهر وهم جميعا في [illegible] أنه سيستسلم لليأس والقنوط بعد أن كان يهاجم أهل اليأس والقنوط من الناس

كان يدعو إلى القوة والعنف فصار يدعو إلى اليأس ويتخلق بأخلاق الضعفاء ، فيزعم في كتابه أن فلانا الأديب يحتاجه وأن فلانا الشاعر يحاجه ، ويصرح بأن هذا أديب محترم جليل ، وذلك مجرم أثيم

ولقد كان [illegible] يقول أن يشتكي إليه من هذا التغيير ؟ لقد كتب إليه الشاعر الأستاذ [illegible] في رسالة ، عندما كان في أوج قوته واندفاعه قائلا

« رأيتك يا دكتور تطل من ذلك البرج العاجي من علو شاهق ، فلا تهابه ولا مكابرة [illegible] تكون لنا أنت من [illegible] أو [illegible] تهوى بك من ذلك العلو [illegible] إلى حيث [illegible] عليك [illegible] وتكلم [illegible] »

فأجابه بمرارة

« لم أرى في النقد ما يطمئن به إلى أن أعيش بلا خصوم وبلا

لعنة وكيف وحياتي كلها قائمة على مخازن «البارود» لو وقعت عليها شرارة واحدة من الخطأ لجرفتني في مثل لمح البصر إلى رماد تذروه الرياح .

ولكن مخاوف الأستاذ «قاسم» وقعت من حيث لم يحتسب الأديب ، فقد وقعت هنا شرارات على مخازن «البارود» التي قامت عليها حياته فسببت له متاعب كثيرة ، وانتهت حياته في أمر بأساة ، وكانت نهاية التدخين بالرصاص كما قال الأستاذ «قاسم» .

وقد أسرف في شرب الخمر إسرافاً شديداً حياته ولنفس عهده ، وأصبحت الخمرة سبباً في فقده صديقه الأديب الذي . . وقد كان عند يأسه من الخمرة عند وقت طويل ، وقد صرح في كتابه «بين الخمر والمدخنة» في الشرق «جريدة» :

«إن العصر فضلاً واحداً هو أنها كانت حياتي ، ولو كان الله نجاني من هذا الإثم لكنت اليوم من كبار الأدباء» .

ومن يعتقد أن شرب الخمر أكثر من شرب الشاي والقهوة ، ويقول «شرب الخمر أولى من أن يدعو إلى المهاترات» ، الدكتور سنة ١٩٢٠ م شرب أجمع صديق سبب لا يستحق أن الغضب من أجله ساعد الحزن يعرف شرب أجمع علوي وقع يتوهم أن شرب الخمر من علامات ثقافته .

وقد أخذ يحاجهم المستشرقين بأنه لا عودة فيها لملكه أنهم مراجعه حقه وهم ظالمون . وقد نص من حقه بالتفتيش تبعية لمباحث المستشرقين في وزارة المعارف ، ويعزل في ذلك

« إذا كان وزراء المعارف كالأكثر من ماضي ؟ » وقد كان الصدق يعين رأيه من وزراء المعارف ، فظفر من وزارة المعارف — فإذا تقدم أول أحد الشعراء القدماء .

أعطوا الفؤاد [illegible] ودكتور [illegible] إن كان ينل كل من صحبتها منحتني الدولة العراقية أعظم وسام عراقي ، ومنحتني الدولة الفرنسية أعظم وسام فرنسي ، أما الحكومة المصرية فحرمتني ورمتني [illegible] في الحال بلا مكافأة ولا معاش .

وبعد خروجه من الوزارة بقي بمنزله حبيس البيت وقسوة الأيام ، فعطف عليه الأستاذ [illegible] ووجهه في دار الكتب المصرية ، وظل في دار الكتب ، حتى جاء الدكتور طه حسين ، وزيراً للمعارف ، فنقله إلى عمله الأول مفتشاً في المدارس الأجنبية

ويقول الأستاذ [illegible] ولم يستطع [illegible] أن يصالح المعارف ، ويصالح السلطان ، ويعدي شيئاً من الحياة ، لا لأن كبرياء ما جبلت عليه جبلة الطبع ، ويجاوه الصراحة .

لم يستطع أن يصالح المعارف ويصالح السلطان ، بل عاش على سجيته ،

وهاجم صاحب العزة والسلطان فانتهى إلى حياة متواضعة لا تليق بآفاق أدبه .

وفى مساء يوم الأربعاء ٢٣ يناير سنة ١٩٥٢ م انتقل إلى رحمة الله الدكتور زكي مبارك ، قبل قيام الثورة المصرية المجيدة بستة أشهر ، وهو الذي كان عدواً لأصحاب العزة والسلطان والجاه والحكم .

ولكن الله شاء أن يسحب الكاتب إلى جوار ربه قبل أن يدرك الثورة وأن يرى كيف تحررت الأقلام من عقالها ، كما جرى أصحابها من آرائهم الناجية .

وبعد وفاته بأربع سنوات استطاعت الثورة المصرية — بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر — أن تطرد الاستعمار من الأراضي المصرية بعد أكثر من سبعين عاماً ، وهو الذي أكثر من حرب المستعمر ، وذاق مرارة الاستعباد واعتقل مع الأحرار .

وقد رثاه الأستاذ أحمد حسن الزيات في مجلة الرسالة بقوله «انتقل منذ ليال إلى رحمة الله — الدكتور زكي مبارك ... [illegible] على أثر كبوة شديدة تصدع رأسه [illegible] فقد الأدب بفقده كاتباً من كتاب الطليعة له جهاده الطويل وأسلوبه الجميل وأثره الباقي كان رحمه الله من الأدباء القلائل الذين سموا بطبعهم في الصحف بالعمل الشاق والدرس المتصل والتحصيل للعلم [illegible]

عمره في التعليم والتأليف والكتابة على نحو ما يكون العمل الصادر عن أفكاره وجهده على أنه أثبت كما أثبت السكاكيني في تاريخ الأدب والفكر العربي هذا الشأن

ولكن هو قليل من عيسى أصر بسبب طريقة الزمن فلم يبلغ الغاية التي جاهد فيها واستعاد بعد المراحل التي أتى بعد أمر الأمس يمر عليه مرور الرجيم، فلا يكتب إلا على الساعة وليس إلا كراهة على أن له من المؤلفات القيمة والمقالات ما يجعل اسمه في سجل الخالدين، بما دل على تقدم أحسن تقدير، وعلى جعله أسمى المراتب

وقد رثاه في مجلة «الرسالة» الأستاذ «محمد رجب البيومي» فقال إنه بلغ في منصب من العلم ... ورجى مكانه في عالم الأدب والأستاذ «محمد شمس ...» من «العراق»، والأستاذ «عباس ...» في «الرسالة» في ذلك الرثاء

ورثاه الأستاذ «أحمد أمين» بالكلمات التالية

«توفي «الفقيد» أديبا من أدباء مصر هو الدكتور «زكي مبارك» الذي له مقالات كثيرة من جد وهزل وشرح، وكتب وتآليف أكسبته شهرة واسعة، وكان إلى ذلك ذا نزعة في النثر ... إلى الشعر ... وقد خلف لنا ... كبيرة ... مصر ما أدى الأمة من خدمة جليلة ... العالم العربي ...»

ورثاه في الحفلة: الأستاذ محمد سلامة مصطفى، مشال ليم والشاعر
الكلاني حسن سعد، أبو الحسن المصري، وكتب الأديب محمود أحمد قولي
كلمة قيمة عن ديوانه «أطياف الظلام» بعد موته بأسابيع.

وأقامت له نقابة الصحفيين حفل تأبين بتاريخ ١٨ إبريل سنة ١٩٥٢
تكلم فيها الأساتذة الدكتور محمد مندور، د. أحمد عبد القادر حمزة،
د. مختار سعيد، د. محمد كامل، د. محافظ ...، د. محمد مصطفى حلمي،
د. مختار الوكيل، والأديبة زينب الحكيم.

ومما جاء في قصيدة الأستاذ محمد مصطفى حلمي:

ديوان الحسن مثل جنا عرائه ... حسن الشعر أجل مثلا أصحابه!
الطيب لعين أعينه المسرى ... والنور بيانه وحطابه
للعرب الطالب الصحيفة أروى ... ظل ... الصبا وشبابه
وجب الله الصدور صفاء ... وتولى حسابهم وحسابه

وهكذا بلغ هذا الأديب الطموح الثائر نهاية المطاف، وأصبح
ملكاً للتاريخ الأدبي يحكم عليه كما يشاء، بعد أن أدى واجبه حسب
اجتهاده خير أداء.

# مراجع الكتاب


١ — كتب زكي مبارك

٢ — مجلة الرسالة

٣ — جريدة البلاغ

٤ — مجلة الثقافة

٥ — كتاب في الأدب والحياة للمؤلف

# فهرس

